دراسات
ISSN: 2090 – 0449 Online
ISI International Scientific Indexing, [8140].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.3].

جُولْ مِيشْلِيه (Jules Michelet)
ووَحيُ الثورة الفرنسية

د. ياسين زينون
أستاذ متعاقد تاريخ معاصر
كلية الآداب والعلوم الإنسانية – عين الشق
جامعة الحسن الثاني – المملكة المغربية

مُلَخّص

شكّلت ثورة ١٧٨٩ حدثا مُهِمًّا في تاريخ العالم، فلقد ساهمت في الانحدار العالمي للمَلكيات المُطْلَقَةِ واستبدالها بالجمهوريات، ووَسَّعَ بعض وثائقها المركزية، مثل: "إعلان حقوق الفرد والمواطن" (١٧٨٩) مَجَال حقوق الإنسان ليشمل المرأة والعبيد، ممّا وفَّرَ الإطار المرجعي لحركات التّحرر والاقتراع العام في القرن العشرين. لقد غيّرت هذه الثورة المفاهيم السّياسية السّائدة؛ من ذلك "إقرارها النّهاية الفعلية للعصور الوسطى حين أطلقت رصاصة الرّحمة على النظام الإقطاعي، وإشعالها عَبْرَ حروب الثورة الفرنسية (١٧٩٢ -١٨٠٢) فتيل صراعات عالمية مسلّحة أعادت تشكيل الخريطة الجيوسياسية في العالم بأكمله، وبثُّها اللّيبرالية الرّاديكالية والقومية والاشتراكية ونصرتها المرأة والعلمانية من ضمن مفاهيم أخرى عديدة، وتأسيسها لصعود البورجوازية ونظام الحكم الدّيكتاتوري واعترافها بحقوق الطّبقة العاملة". لأجل كل ذلك، فما كان للعصر الحديث أن يرى النّور لولا الثورة الفرنسية التي نهلت من إرثها كل الثورات والحركات اللاّحقة، فيما لازالت قِيَمُها ومؤسساتها تهيمن على السّياسة الفرنسية حتى اليوم. فجول ميشليه Jules Michelet (١٨٧٤- ١٧٩٨) الذي وُلِدَ بُعَيْدَ الثورة الفرنسية واعتاد منذ صباه أن يرى فيها خلاص العالم أراد تدريسها للأجيال الجديدة كما توَسّمَهَا: كإنجيل للعدالة والسّلام، لذا صاغ مؤلّفه: "تاريخ الثورة الفرنسية" "Histoire de la Révolution française" (١٨٤٧ - ١٨٥٣) في قالب قصيدة ملحمية من سبعة أجزاء بطلها الشّعب وهو مُجَسَّدٌ في دانتون Danton (١٧٥٩-١٧٩٤). نعم، فقليلة هي مقاطع هذا الكتاب التي لم يَطَلْهَا النّقد التّاريخي، إلاّ أنّ فُصُولاً من قبيل "السّيطرة على حصن الباستيل"، و"احتفال الاتحاد"، تبقى لها الجمالية الخالدة للإبداعات الأدبية الكبرى. ولربّما يظل هذا المؤرخ الوحيد ضمن مؤرّخي الثورة الفرنسية الذي تَغَنَّى بالحماسة السّاذجة والرّائعة والأمل اللاّنهائي الذي غَمَرَ فرنسا وأوربا سنة ١٧٨٩. وتروم هذه المساهمة استجلاء بُعْدِ الوَحي الذي خَصَّ به ميشليه الثورة الفرنسية، وذلك وِفْقَ مقاربة نقدية تأويلية تَتَّبِعُ المنهج التاريخي وتعتمد أهم المصادر والمراجع في الموضوع.

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث: ٠٨ مايو ٢٠٢١
تاريخ قبـول النشـر: ٢٧ مايو ٢٠٢١

كلمات مفتاحية:

الوحي؛ الثورة الفرنسية؛ جول ميشليه؛ تاريخ فرنسا؛ الجمهورية؛ الاشتراكية

معرِّف الوثيقة الرقمي: DOI 10.21608/KAN.2021.232599

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

ياسين زينون، "جُولْ مِيشْلِيه (Jules Michelet) ووَحيُ الثورة الفرنسية".- دورية كان التاريخية.- السنة الرابعة عشرة- العدد الثاني والخمسون؛ يونيو ٢٠٢١. ص ٢٢٢ – ٢٣٧.

Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique

Corresponding author: zainoune.yassine@gmail.com
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg

Open Access This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشرت هذه الدراسة في دَّوريةُ كَان التَّارِيْخية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

مُقدِّمَةٌ

يعَـرَّفُ الـوحي لغـة بأنّـه: "الإعـلام في الخفـاء أو الإشـارة السّـريعة، والإيمـاء والصّـوت والكتابـة والسّرعـة والإشـارة والإلقاء في الرّوح بسرعة وشدّة ليبقى أثره في النفس"[١]. إنّها تحديدًا المعاني التي كانت لثورة ١٧٨٩ مع ميشليه؛ فالثورة من منظور هذا المؤرخ هي" وَحْيٌ أعطى شكلاً جديدًا للمجتمع وأَذِنَ بمـيلاد عُمْـرٍ ثـانٍ للإنسـانية، وصـدًى إنسـاني للعدالـة والحقيقـة واحتفال للتآخي وإضاءة لِمَا وراء الرّوح، وهي تجَلٍّ للشّعب وهو في ذِرْوَتِهِ وقـد أصـبح في النّهايـة ذو سيادة، وحـدثٌ لا مثيـل لـه أَطَـلَّ عـلى التـاريخ العـالمي أَفضى إلى كَسْرٍ في لُحْمَـةِ الأسـباب والنّتائج وإلى انقطاع في المسار التّاريخي، ما جعله بحق ارتجاجا عظيما وعميقا كزلزال."[٢].

كانت ثورة ١٧٨٩ انبعاثًا لفرنسا، فمن الأعماق الخفية للرّوح الإنسانية صَعَدَتْ ترنيمة مجيدة أَلْغَتْ حقيقة أصبحت عقيمة واحتفلت بقدوم إنسانية جديدة؛ فعلى هذا النّحو تلقّت أوربا كلمة الثورة، كما تَلَقَّتْ الإمبراطورية الرّومانية منذ زمن بعيد الخطاب الإنجيلي، لِيُفْتَحَ بالتّالي طريق جديد صادفت فيه القرون اللاّحقة جدورا. لم تكن الثورة الفرنسية مُجَرَّدَ عَمَلٍ حَالَفَهُ النّجاح، بل برنامجا لم يُدْرِكْ فرنسيو القرن ١٩ إن كانوا قد أنجزوه على أكمل وجه، وحدثا أَضاء سنة ١٧٨٩ مَثَّلَ خطّا فاصلاً بين نهايةِ عُمْرٍ أَوَّلٍ "للطّبيعة" وعُمْرٍ ثانٍ "للمسيحية" وبدايةِ عُمْرٍ ثالث "للمدينة الكونية والمقدّسة"[٣]. فما "الثّورة الوحي" من منظور ميشليه؟

أولاً: ثورة ١٧٨٩ أوِ العُمْرُ الثّالث

١/١-يَقِينٌ مُضْمَرٌ

غـداة ثـورة يوليـوز المُصـادرة[٤] تقاسـم ميشـليه[٥] القلـقَ والفُضُولَ الرُّوحيان اللّذان يميّزان "مَرَضِ القرن" " Le Mal du siècle"[٦] وزَمَـنَ ديـوان "أغـاني الشـفق" " Les Chants de crépuscule"[٧] حيث يذيب هيجو Victor Hugo (١٨٠٢-١٨٨٥) الأسـطورة. فـإذا كـان ميشـليه قـد تَعَلَّـمَ مـن تيـودور جـوفروي Théodore Jouffroy (١٧٩٦ -١٨٤٢) "كيـف تنتهـي العقائـد"[٨]، فهو لا يعتقد أن "الغرق الكوني للعقائد"[٩] يُعْلِنُ عن موت الله وعن عهد "اللاّمبالاة في مجال الدّين". لقد أَيَّد من جانبه وعن طيـب خـاطر السّـؤال التـالي الـذي طرحـه سـانت بـوف Beuve Sainte (١٨٠٤-١٨٦٩) على تلميذ Victor Cousin فيكتور كوزان (١٧٩٢- ١٨٦٧) تيودور جوفروي: "من قال لكم أن هذه الإيحاءات السّابقة، الحقيقية على مَرَّ الزّمن، والتقدمية على غرار الجنس البشري والتي هَذَّبَتْهُ وحوَّلته، لا ينبغي لها جميعُها أن تلتقي وتُحقق وَحْيًا نهائيا (...) سوف يُعفِي ويُعَظِّمُ الخالق، ويُسَكِّنُ ويُفْرِحُ البشرية؟"[١٠].

لاعتقـاده أن بمقـدوره الاسـتغناء عـن أيّ شـفيع لـم يَكُـنْ ميشليه لينتظر هذا الوحي "النّهائي" من القساوسة الفرنسيين حـتّى وإن قَبِـلَ المشـاركة في إحـدى الشّـعائر الدّينيـة الـتي كـان يترأسـها الأب أونفونتـان le Père Enfantin (١٧٩٦ - ١٨٦٤) بزنقـة مينيلمونتـان Ménilmontant. كمـؤرخ، فهـو يُحِـسُّ أنّ بمقدوره الكشف بنفسه في مجرى الأحداث عن علامات عودة للمسـيح شـبيهة بتلـك الـتي يُعْلِـنُ عنهـا "الكتـاب المقـدّس" "l'Écriture"[١١] ؛ إلاّ أنها في نظره ليست مرادفة لعودة المسيح الموعـود ليـوم القيامـة. فاسـتنادا إلى تعـاليم جـواكيم دوفلـور""Joachim de Flore" (حـوالي ١١٣٠ أو ١١٣٥-١٢٠٢) حـتّى وإن لـم يَـذْكُرْ اسـمه بعـد يُعلـن ميشـليه في كتابـه: "التّـاريخ الرّوماني" "l'Histoire Romaine" (١٨٣١) عن انتظار عُمْرٍ ثالث للعـالم سَـيَلِي العهـد المسـيحي قـائلا: "يَلْـزَمُ ثلاثـة قـرون، ليَـتِمَّ ترويض إله الطّبيعة من طرف إله الرّوح (...) هذا العُمُرُ الثّاني للعالم الذي بدأ مع الإمبراطورية (أي الإمبراطورية الرّومانية)، فهناك أحيانًا ألف عام، بدو أنّه سينتهي (أي العُمُر الثاني للعالم). آه! فإذا كان الأمر كذلك، فليأتِ الثّالث بسرعة إذن، وأسأل الله أن يُبقينا عالقين لوقت أقل بين العالم الذي ينتهي وذاك الذي لم يبدأ."[١٢]

تسـتندُ ثِقَـةُ هـذا المـؤرخ في قـدوم عُمُـرٍ ثالـث إلى ترجمتـه الجّرِيئـة لأيّام ثـورة يوليـوز ١٨٣٠ الفُجائيـة والإجماعيـة والفعّالـة والسّلمية، بعد أن رأى في تَمَرُّدِ شعب باريس معجزة: إذ يشير في مؤلفـــه: "مـــدخل إلى التّـــاريخ العـــالمي" "Introduction à l'histoire universelle" (١٨٣١) إلى وحي جديـد هـو "الكلمـة الاجتماعيـة" "Verbe Social" الـتي سـتقيم باسم "المساواة أمام الله" "المدينة[١٣] السّاملة والمقدّسة"[١٤] .

لقد خـصَّ ميشليه الظّاهرة الثورية بهَيْبَةٍ روحانية تُمَيِّزُهَا عـن غيرها مـن الوقـائع التّاريخيـة الأخـرى ودوّنها تلقائيا في سِجِلّ المَلْحَمَةِ، ففي حديثه عن ثورة ١٨٣٠ كتب يقول: "تُطْلِقُ لسانَ الشعبِ العبقرية المقدّسة للمجتمع. لاسيما أثناء الخطر، لَمَّا أضاءت شَمْسُ ليوليوز الاحتفال، لَمّا أجابت النّار النّار، لمّا انساب الرّصاص والموت وعَاوَدَا الانسياب؛ عندئذ أصبح الغباء بليغا، والجُبْنُ شجاعا؛ فتفكك هذا الغبار الحيّ وَلَمَعَ، وأصبح جميلا بشكل رائع"[١٥]، ثورة يوليوز هذه التي ساهمت في نجاحها الصّحوة القويّة لذكرى أيام الثورة الفرنسية، وهي الذّكرى التي

رسّخها لدى ميشليه والده جون فرانسوا فورسي ميشليه Jean François Furcy Michelet (١٧٧٠ - ١٨٤٦) المنتمي إلى السانزكيلوت Les sans culottes [١٦].

مع ذلك يتأخّر "الوحي الجديد" في ترسيخ مكانه في مؤلّفات هذا المؤرخ؛ فكتابه الضّخم : "تاريخ فرنسا" " de France Histoire" (١٨٣٣ و١٨٦٧) يفرض صبرًا طويلاً يبعث معه بُعْدُ ١٧٨٩ كهدف نهائي على اليأس؛ يُعزا ذلك بالأساس إلى الحنين الذي يُغَذِّي "بَعْثَ" المسيحية الوسيطية وعظمتها لدى ميشليه؛ والذي يمنعه من تَبَنِّي أطروحات مارتن لوتر Martin Luther (١٤٨٣ -١٥٤٦) على الرغم من كل التقدير الذي يُكِنُّهُ لهذا المصلح؛ فهو لا يريد في عام ١٨٣٥ أن يُحرج الكنيسة أو "الأمُّ العجوز للعالم المعاصر"[١٧] على حد تعبيره. فإذا كان هذا المؤرخ قد بات يدخُلُ سنة ١٨٤١ في خانة "الفلاسفة والمُفَكِّرِينَ" فإن تفكيره بالاجتماع الفِصحي للمؤمنين[١٨] الذي حُرِمَتْ منه جان دارك Jeanne d'Arc (حوالي ١٤١٢-١٤٣١) المحتجزة قد اسْتَلَّ منه مع ذلك الاعتراف التّالي: "مُؤْمِنُ المستقبل الذي لايَطَّلِعُ بقلبه أكثر على الماضي، فليضع القلم من يده وليُغْلِقِ الكتاب؛ لا يمكنه التوقف عن القول: آه ! إنّني لست معهم، واحدا منهم، الأكثر بساطة، أُقل هؤلاء الأطفال شأنًا"[١٩].

٢/١- الجَهْرُ بالدّعوة

غير أنّ المستقبل يَفْرِضُ التزامات رَاهنة وجسيمة، فخلال الفترة الممتدة بين عامي ١٨٢١ و١٨٤٦ التي فَقَد فيهاَ ميشليه زوجته بولين روسو Pauline Rousseau (؟ - ١٨٣٩) وصديقه بول بوانسو Paul Poinsot (؟ - ١٨٢١) ووالده جون فرانسوا فورسي ميشليه وميّزها نضاله المستميت ضد الكهنوت بكوليج دوفرانس[٢٠]، قرّرَ هذا المؤرخ نشر إنجيله الجديد الذي يرى في الشّعب الفرنسي برمّته رسولا له. لِذَا أوقف مؤقتا صياغة كتابه: "تاريخ فرنسا" سنة ١٨٤٤ بعد أن وصل فيه إلى الجزء السادس، حتى يتفرغ لكتابة: مؤلفه: "تاريخ الثورة الفرنسية" الذي صدر جزؤه الأول في ١٠ فبراير ١٨٤٧[٢١]. ويؤرخ ميشليه بـ ٤ غشت ١٨٤٣غداة زواج ابنته أديل Adèle (١٨٢٤-١٨٥٥) لقطيعته النّهائية مع الكنيسة القائمة ولتحالفه مع "الإله الجديد للمستقبل"[٢٢] الذي زار فرنسا الثورية؛ ففي السّنة الفارطة، وخلال احتضار "ملاكه الأبيض"[٢٣] بول بوانسو ألقت به ثورته على الموت في قراءات قوية؛ فَتَعَرَّفَ على إسحاق Isaïe (القرن الثامن - القرن السابع قبل الميلاد)، سَعْيًا منه إلى الوصول إلى "الإيمان الرّاسخ لهذا الرّسول اليهودي الذي لم يَزَالوقائع كوقائع بل حَقًّا كما رآها الله، كُلُّ الأزمنة كانت قد انتهت، يوم الحساب."[٢٤].

بكوليج دو فرانس، انجذب هذا المؤرخ لنموذج ميكيويكز Mickiewicz (١٧٩٨ -١٨٥٥)؛ فمن منظور ميشليه فإذا كان الشّعب البولوني يعيش آلام المسيح[٢٥]، فإن الثورة التي أنجزها الشّعب الفرنسي- تنطوي على حقيقة أكثر قدسية وَجَبَ استيلامها وتشكيلها في عقيدة. فمؤرخنا يبقى قريبا من الاعتقاد بأنّه يَتَقَلَّدُ مُهِمَّةً تُذَكِّرُ في الآن ذاته بتلك التي اضطلع بها كل من مُبَشِّرِي يسوع والرّسول بول Paul (حوالي بداية القرن الأول - حوالي ٦٤ استنادا إلى التقليد المسيحي و٦٧-٦٨ استنادا إلى غالبية المؤرخين)، لذا ما فتئ يؤكد على أن الثورة ما هي في الواقع إلاّ قصّة لوحي جديد؛ "ثورة" "Révolution" "وحي" "Révélation": قد يبدو الأمر للوهلة الأولى على أنّه لَعِبٌ بالكلمات؛ لكن ميشليه ينخرط في دعوته للدّيانة الجديدة بجدية وقدسية كبيرتين[٢٦].

ماذا وقع إذن؟ يكتب متسائلاً في مقدمة إنجيله الثوري، نستلهم الجواب من الصّيغة التي اختارها هذا المؤرخ ليطرح مجددًا سُؤاله التّالي: "أيُّ شعاع مقدّس له بذلك، لإجراء هذا التغيير؟ هل هي قوة فكرة، وإلهام جديد، ووحي من السّماء؟ (...) نعم كان هناك وحي"[٢٧]، هكذا نرى أن كلمة السر الوحي قد صدرت في النّهاية بشكل إيجابي. لكن يتعين أن لا نَتَسَرَّعَ ها هنا في تجريم مجاوزة البَلاغة الرومانسية المعروفة بتضليلها؛ فميشليه لم يتحدث حُيَالَ الوحي إلاّ بعد كلود فرانسوا فوشي Claude François Fauchet (١٧٤٤ -١٧٩٣) عضو الجمعية الدّستورية الذي صاح غداة السّيطرة على حصن الباستيل قائلا: "حلّ يوم الوحي!"[٢٨].

لا يَميلُ هذا المؤرخ إلي اعتبار أن الثورة تنفذُ بالنّهاية وصايا الإنجيل، إنّما يتعاطى معها بالفعل كوحي جديد قائم بذاته. لهذا تظل الثورة الفرنسية من منظور ميشليه حدثًا فريدًا في العلاقة التي تقدّمها، فبخلاف الأحداث الهامّة الأخرى، تُحْدِثُ سنة ١٧٨٩ قطيعة في تسلسل الأسباب والنتائج، فهذا المؤرخ يعلن منذ البداية أن الثورة هي مجيء أكثر منها مجرد حدث، وهي القناعة التي يختزلها في: "أُعَرِّفُ الثورة على أنّها مجيء القانون"،[٢٩] من ثَمَّ الأهمية المتميزة للحلقات الأولى من مؤلفه: "تاريخ الثورة الفرنسية" ربّما الوحيدة التي تبقى ثورية بالفعل، وكذا الطّول المبالغ به للكتب الثلاثة من هذا المؤلّف التي تعيد عرض مسار عام ١٧٨٩- ١٧٩٠ وحده، من السّيطرة على حصن الباستيل في ١٤ يوليوز١٧٨٩ حتى احتفال الاتحاد في

١٤ يوليوز١٧٩٠ والذي وسم ميشليه بشكل جرّيء محوره الأخير بـ"عن الدّيانة الجديدة" "De la religion nouvelle"، من ثم أيضا تدَفُّقُ التّعابير والصّور والصيغ التي يمكنها بضرر أقل أن تُورِدَ الثورة الفرنسية كواقعة مجرّدة من الأسباب الكافية وكحاضر لا يستنسخ ولا يواصل الماضي وكظاهرة غير مسبوقة. أمّا بالنسبة لاستدعاء اتحادات الأقاليم، فهذا النّوع من الخطاب الافتتاحي تمت ممارسته بالفعل؛ فميشليه الرّاوي يُرَحِّبُ "بالعصر الحقيقي لميلاد شعب" ويؤكد على الطابع الفريد للّحظة، قائلاً: "كان الأمر جديدًا، ليس فقط في تاريخنا، بل حتّى في تاريخ العالم (...) كان ارتجاجًا عظيمًا وعميقًا، كزلزال"[٣٠]. لم تلبث المعجزة أن تجدّدت في ٤ ماي ١٧٨٩ يوم افتتاح المناقشات وهو ما عَبَّرَ عنه هذا المؤرخ بقوله: "بدأ أمرعظيم (...) وَهَجُ عرضٍ كهذا أسْكَتَ كل فكر آخر. يوم جميل، آخِرُ يَوْمِ سَلاَمٍ، والأوّل في مستقبل عظيم."[٣١].

غير أنّ الرّواية المؤسِّسة بحق "لبُعْدِ الوحي" الذي خَصَّ به ميشليه الثورة الفرنسية هي تلك التي تتعلق بسيطرة الثوار على حصن الباستيل في ١٤ يوليوز ١٧٨٩، ففي وصفه لهذا الحدث نقرأ قوله: " يوم ١٣ يوليوز، لم تكن باريس تُفَكِّرُ إلاّ في الدّفاع، لكنها يوم ١٤ هاجمت، كانت هناك شكوك يوم ١٣ مساء، لكنها تبدّدت مع الصّباح. كان المساء مليئا بالاضطراب وسُخْطٍ عشوائي. أمّا الصّباح فكان مُشْرِقًا وذو سكينة رهيبة. مع الصّباح بزغت فكرة في باريس، ورأى الجميع نفس النّور، نور في الأفكار وفي قلب كل صوت: "إذهب، وستأخذ الباستيل! [.....]."[٣٢].

في مؤلَّف ميشليه "تاريخ الثورة الفرنسية" يَسْمَحُ نموذج ١٤ يوليوز ١٧٨٩ بالتمييز بين الأيّام الحقيقية للثورة من الباطلة؛ ففي ٦ أكتوبر ١٧٨٩ أدّت نساء الشّعب وهنّ تقتدن من قرساي إلى باريس "الخبّاز والخبّازة وفتى الخبّاز"[٣٣] عملاً أكثر ثورية حتّى وإن كان غير متوقّع، وهو ما عَلَّقَ عليه سييز Sieyès (١٧٤٨ - ١٨٣٦) الذي اكتسب مع ذلك جزءا من الخبرة مُهَمْهِما : "لا أفهم شيئا هنا، هذا يمشي في اتجاه معاكس"[٣٤]. فمؤرخنا يكاد يُجْزِمُ أنّ المعجزة حدثت يوم ٢٠ يونيو أو ١٠ غشت ١٧٩١، بينما يُدخِلُ مجازر شتنبر[٣٥] في خانة الوقائع المدنّسةِ التي لاتنتمي من منظوره إلى المدوّنة المقدّسة للثورة[٣٦].

مُرَاعِيًا الأوقات الحاسمة في الثورة الفرنسية ذَكَرَ هذا المؤرخ في درسه بكوليج دوفرانس لسنة ١٨٤٥ والموسوم بـ "روح ومدى الثورة"[٣٧] L'esprit et la portée de la Révolution أنّه "لا يجب قَوْلُ الثورة، بل المؤسسة"[٣٨]، و صدرت عنه في السّنوات التي تلت صِيَغٌ أخرى كثيرة للوحي الثوري؛ من ذلك قوله في درس ٤ مارس ١٨٤٧ المعنون "دراسة التاريخ، ازدراء التاريخ"" Etudier l'histoire, mépriser l'histoire": "التاريخ مقتول، التاريخ يبدأ"[٣٩]، فيما أَرْدَفَ في درس ٢٧ يناير ١٨٤٨، أي على بعد أسابيع من ثورة فبراير١٨٤٨[٤٠] قائلا: "الثورة تأتي، كل شيء يَتَغَيَّرُ"[٤١]. فهذه التّأكيدات المتكرّرة على انقلاب خارق للعادة تتطابق وقطيعةً أخرى تلاحظ في إيديولوجية المؤرخ؛ لذا يتعين أن نأخذ ميشليه على محمل الجد وهو يعترف في يومياته لـ ٣١ ماي ١٨٤٧ حُيَالَ مدخل مؤلفه "الثورة الفرنسية" الذي كتبه بشق الأنفس بأنّه مثّل بحد ذاته "ثورة في حياته"[٤٢] حتّى لا نقول اعتناقًا، بعد أن حثَّ فيه على القطيعة ضد الاستمرارية المنطقية والكرونولوجية، مُنْجِزًا بالتّالي عملا جعل منه رجلا آخر مُكَلَّفاً بمُهمّة جديدة[٤٣].

ثانيًا: ميشليه وثورة ١٧٨٩

١/٢ -مؤرِّخٌ خَارِجَ السِّرْبِ

يبدو الاختلاف جليّا إذا ما قارنا الوثبة الرّوحانية لميشليه بالطّريقة التي يُفَكِّرُ بها في الثورة الفرنسية المؤرخون المعاصرون؛ "فوحده لاهوتيُّ الشّعب"[٤٤] يعتقد أنّه فجأة في صباح ١٤ يوليوز ١٧٨٩ أخذت فرنسا والعالَمُ عطلة من ماضي الاستعباد برمّته. فالمؤرخون اللّيبراليون يهتمون جَيِّدًا بتفسير الثورة وإثبات أسبابها الرّاهنة أو البعيدة، ويرون أنّ سيطرة الثوار على حصن الباستيل إنّما هي مجرّد استهلاك لخراب الملكية التّقليدية؛ بل ويطرحون فَرَضِيَةً أكثر اختزالا تقول: بأن حدث الثورة لا يستكمل تمركز فرنسا التي تم بناؤها بأناةٍ من طرف الملوك. من هذا المنطلق يشير ميني Mignet (١٧٩٦ - ١٨٨٤) في نهاية مدخل مؤلَّفِه: "تاريخ الثورة الفرنسية من ١٧٨٩ حتى ١٨١٤" Histoire de la Révolution française de1789 jusqu'en 1814" الصّادر سنة ١٨٢٤ إلى "أن اتحادات الأقاليم لم تفعل شيئا سوى الإعلان عن ثورة تَمَّتْ من قبل."[٤٥].

من جانبه وفي في كتابه: "الحالة الاجتماعية لفرنسا قبل ومنذ ١٧٨٩" l'Etat social et politique de la France avant et depuis 1789 " الصّادر سنة ١٨٣٦ يتبنّى أليكسي دوتوكفيل Alexis de Tocqueville(1805-1859) المنطِقَ ذاته، وهو ما يفصح عنه بقوله: "ضبطت الثورة ونسّقت وأضفت الشّرعية على تأثيرات قضية كبرى، أكثر ممّا كانت هذه القضية ذاتها."[٤٦]. من جهتهما وبعد أن حصراها في تاريخ جدير بالاحترام لكنّه ولّى دافع أودلف تيير Adolphe Thiers (١٧٩٧- ١٨٧٧) وفرانسوا جيزو François Guizot (١٧٨٧- ١٨٧٤) عن الفكرة المُطمئنة للملكية البرجوازية والقائلة بأن الثورة انتهت

وانتهت تماما. إرّاء إيماءات الاختتام هاته تقف مع ميشليه بثبات حركة للانفتاح يصبح خلالها عام ١٧٨٩ حتى قبل وضع التقويم الثوري[٤٧] السنة الأولى للأزمنة الجديدة[٤٨].

بالتّأكيد يبقى من الصّعب أن نَتَّفِقَ مع "رولان بارت" "Roland Barthes" (١٩١٥ -١٩٨٠) في أنّه لم يوجد إلاّ ماهو بورجوازي في إيديولوجية ميشليه، بل وحتّى "بورجوازي صغير".[٤٩] لكن إذا كان من غير المُناسب تصنيف ميشليه دون إبطاء ضمن اللّيبراليين، فلن يكون بمقدورنا مسبقا حشر هذا المؤرخ الثوري على نَحْوٍ ديني في زمرة المسيحيين الرّومانسيين الذين رأوا في: "إعلان حقوق الفرد والمواطن" " Déclaration des droits de l'homme et de citoyen" (١٧٨٩) ترجمة مدنية وعصرية، "للخبر السعيد" "La Bonne Nouvelle"[٥٠]. كان ميشليه أوَّلَ من نأى بنفسه عن سَلَفَيْهِ بوشي Buchez (١٧٩٦ -١٨٦٥) وروكس Roux (١٨٠٢ -١٨٧٤) حتى وإن كان يستعين بمؤلّفهما الذي لا غنى عنه في هذا الإطار :"التّاريخ البرلماني للثورة الفرنسية" " Histoire parlementaire de la Révolution française" الصّادر بين عامي ١٨٣٤ و١٨٣٨، وقد رفض مع لامارتين Lamartine (١٧٩٠- ١٨٦٩) الذي حجب مؤلفه: "تاريخ الجيروندين" "Histoire des Girondins" سنة ١٨٤٧ الجزء الأول من تاريخ الثورة الفرنسية لميشليه الطّرحين القائلين بأن: "الفكرة الدّيموقراطية" التي يؤرخ "لمجيئها" في ما يبدو بعام ١٧٨٩، ليست شيئا آخر سوى "انسيابا للمسيحية"، وأنّ "الفلسفة السّياسية للثورة" وهي غير قادرة على "ابتكار كلمة أكثر صدقا وأكثر كمالا وأكثر قدسية من المسيحية حتى تَكْشِفَ عن نفسها لأوربا" تبنّت بدورها "عقيدة وكلمة التآخي"[٥١].

نُسجِّل هنا قلق مؤرخنا سيما بعد قراءته في مؤلف صديقه إيدگار كيني Edgar Quinet (١٨٠٣-١٨٧٥) "المسيحية والثورة الفرنسية" Le Christianisme et la Révolution française " الصّادر عام ١٨٤٥، أن "المسيحية بقيت محتجزة داخل القبور حتى حان موعد الثورة حيث يمكن أن نقول إنها انبعثت"[٥٢]، حول هذه النقطة نشب خلاف بين رفيقي السّلاح هذين لم يتم تجاوزه أبدا. فكيني يُعَلِّلُ إضاعة أمل ١٧٨٩ بانخراط فرنسا في طريق " ثورة سياسية واجتماعية قبل أن تُتِمَّ ثورتها الدّينية"[٥٣]؛ بمعنى قبل أن تتجدّد مسبقًا. ويرى أن فرنسا على غرار الأمم المُنْضَمّةِ إلى الإصلاح يبقى إيمانها بالمسيح مُخَلِّصَهَا الوحيد، فيما يعتقد ميشليه جازما أن الثورة تحرّرَتْ بشكل جيد من رعاية الإنجيل واضعًا في مقابل عقيدة المِنَّةِ[٥٤] تلك الخاصة بالعدالة، ومبيّنا أن "الصّراع بين المبدأين حقيقي إلى أقصى حد، وأنّها ليست معركةٌ بين الشيء ونفسه. مادام ثمة متحاربان (...) وفكران، القديم والحديث."[٥٥].

يُعَبِّرُ تضارب آراء ميشليه وغيره من المؤرخين حول ماهية الثورة عن حماسته للوحي الجديد "كراهب مبتدئ" إن صحّ التعبير، والواقع أنّه بينما يفترق عن غيره من مؤرّخي الثورة، فإنّه يرفض فلسفة تاريخه الأولى التي - وعلى الرغم من إضاءة برق ثورة يوليوز ١٨٣٠ وظهور جان دارك الذي يلي في مؤلفه: " تاريخ فرنسا" الحلقات المميّزة لحملة الفلاح أو ثورة فيري الأعظم Grand Ferré (١٣٣٠-١٣٥٩)[٥٦]- تستند إلى فرضية تطور مستمر موروث عن الأنوار؛ بل إن ميشليه كمُبَشِّر بالثورة هذه المرّة أسكتَ تحديدا المؤرّخ المحترف الذي كان سنة ١٨٤٤ قد أظهر كيف ساهم لويس ١١ Louis XI (١٤٢٣-١٤٨٣) بدوره بعد وقبل ملوك آخرين في الإعداد البطيء للوحدة الوطنية، فبعد أن نال هذا المؤرخ وحي الثورة التي قَلَبَتْ فكره وحتّى حياته بات يُجاهر الآن أن تاريخ الشّعب يمكِن أن يَعْرِفَ طفرات جذرية[٥٧].

٢/٢-الثورة كاتحاد وقطيعة

وهو غير متوقع وغير معقول وغير مألوف، قد يُعتبرُ العمل الثّوري سخيفا، لكنّه لا يلبث في نظر ميشليه يوحي ويفيض بالمعنى، وكأن الأمر يتعلّق بلغز؛ يرى هذا المؤرخ أن معنى الحدث يَكْمُنُ في إجماع الفاعلين. لِذَا ما فتئ يردد قائلا: "صوت الشعب، صوت الله" "*Vox populi, vox Dei*" ؛ هذا القول المأثور الذي لطالما اعترف له منذ شبابه وقراءته لمُنَظِّري "الحِسّ السّليم"[٥٨] الأقل تديّنا منه بسلطة روحية، فالاتحاد الذي يعبئ سواعد شعب برمته يبقى هنا دليلا على الوحي ومعجزة في آن واحد[٥٩].

ماذا يعني هذا الاتحاد إذن؟ عن هذا السّؤال يقدم ميشليه إجابات مرتجلة ومحرِجَةً أحيانًا لكنّها ليست نهائية بالمرّة؛ فهو يستخدم رمزية فرنسا للإشارة إلى الغاية الرّوحانية لزخم اتحادات الشتاء الأول للثورة، وهي القناعة التي يختزلها في: "تَجَاوَزَ التآخي جميع العقبات، فَكُلُّ الفدراليات ستتّحد بينها، فالاتحاد يؤدّي إلى الوحدة. كفانا فدراليات، فهي عديمة الجدوى، نحتاج واحدة فقط: فرنسا. فقد ظهرت في ضياء يوليوز [أي ثورة يوليوز١٨٣٠]."[٦٠].

بعد ذلك، وكما حدث في يناير ١٧٩٣، لمّا صَوَّتَ المؤتمر[٦١] بالإجماع على "الإجراءات الكبرى للخلاص العام"[٦٢]، بنفسها فرنسا المجتمعة سعت إلى الوحدة؛ هذا الهدف العريق

لوساطة الفلاسفة وعلماء الدّين، يقول هذا المؤرخ: "منذ اليوم الأول الذي رأت فيه الفكرة الرّفيعة للوحدة الحقيقية (هذا الهدف السّحيق للجنس البشري) كانت فرنسا متحمّسة الرّوح، ومحجوزة في قلب الدّيانة"[٦٣]. بالتّالي تبدو"الدّيانة" وكأنها المَصْلَحَةُ المؤسسة لأي مجتمع ونظام اجتماعي. وهو في حاجة هذه المَرّة إلى إعادة الاعتبار إلى الدّيانة الثورية، استعار ميشليه من البيولوجيا كما فعل سابقا في مؤلفه: "الشعب" " Le Peuple" (١٨٤٦) الخطاب التّالي: "لا حياة، خارج الوحدة. ولا بديهيةَ آمنة. لم تكن مسألة فضول دراسي، إنّها مسألة خلاص الحياة ذاتها. فبالنسبة للكائنات العضوية فالانقسام يعني الموت، وكُلَّمَا كانت أكثر تنظيما [أي الكائنات العضوية]، كلّما كانت الوحدة الشّرط الأساسي لوجودها. فالإنسان يموت، إذا كان مُقسّمًا: أما الثعبان المُقَطَّعُ فيستمر في العيش."[٦٤].

فالتّمركز السّياسي الذي من خلاله تتحدّد اليعقوبية Jacobinisme[٦٥]لا يكفي إذن لاستيفاء معنى الظّاهرة الثورية. في الطرف الآخر لايكفي هنا أيضا التّفسير ذو الطابع العضوي العزيز على صديق إيزيدور جوفروي سانت هيلير Isidore Geoffroy Sainte-Hilaire (١٨٠٥-١٨٦١)[٦٦] . فميشليه الرّاوي يأخذ بزمام المبادرة المتنازل عنها بصفة مؤقتة للمفكر، بتخلّيه عن تحديد السّبب وراء معجزة الاتحاد وبإبرازه فجأة خلال كل المجال الذي يتقدّم فيه الشعب المجتمِعُ، فمثلا عندما يبعثُ تَدَفُّقَ القرويين الساڤويار Savoyards المُهَرْوِلِينَ إلى شامبيري Chambéry في شتنبر ١٧٩٢ لاستقبال قوات الجمهورية الفرنسية اليافعة فهو يعطي الحدث بُعْدًا مَلْحَمِيًا حين يقول: " في اللّحظة التي عَلِمَ فيها هذا الشّعب الرّائع بقدوم محرّريه، لم تعد هناك طريقة لإيقافه؛ جاء بأكمله لمقابلتهم. كان الأمر شبيها بانتفاضة شاملة للبلد، فوحدهم الرّجال ذهبوا، ولكنّ الأشجار والحجارة وكل أرض ساڤوا أرادت أن تمشي في الطريق."[٦٧].

بعد إخفاقه في تفسير الكَسْرِ النّاجم عن فِعْلِ الشعب الثّائر، سعى ميشليه إلى تبريره من الوجهة القانونية؛ فاحتجّ باقتحام الزّمن التّاريخي من زمن آخر يتعيّن أن يحمل اسما بديلاً، وهو ما برهن عليه بقوله: " في هذا اليوم كان كل شيء ممكنا (...) المستقبل تَحَوَّلَ إلى حاضر (...) وأعني بذلك وقتا أطول (....) بَرْقُ خلودٍ."[٦٨]. هكذا إذن كان الحدث الثوري أو"إرادة الشّعب هذه" " *ce Fiat du peuple*" في الأصل وإلى الأبد، والذي لم يَتَوَانَ هذا المؤرخ في تخليده في درسه بكوليج دو فرانس لـ ٢٧ فبراير ١٨٤٥ الموسوم بـ"المستقبل" "L'avenir"، إذ يرى أنّه ما من شيء في حالة كهذه من الفترة الزّمنية أو الحَدِّ الذي يفصل بين الإعداد والّتنفيذ يجعل مرور الزّمن عاديا وملموسا؛ فخلال ليلة ١٣ إلى ١٤ يوليوز ١٧٨٩ التي تتجنّب السجلّات العامّية سبر ظلماتها لم يَعُدِ الماضي الخاضع "للحكم النّهائي" للشعب يُسْتَخْدَمُ كابحا أو حتّى مرجعية، بعد أن غدا المستقبل هو الحاضر بالفعل، غير أن هذا الحاضر وهو بدون ماضي ولا مستقبل لم يعد ذاك الحاضر التاريخي الذي ينتمي إلى الزّمن القابل للقياس والمُؤَرَّخِ ، فهو يمزّق الزمن "كبرق خلود"[٦٩].

يجدر بنا هنا أن نتساءل عمّا إذا كانت الثورة تمثل ما هو متعالٍ وما يُفلت منها دائمًا؟ يرى ميشليه أن ثمة وحيٌ يبدو مُتَاحًا وقريبا؛ فهو يتخيل صوتا يعلو "خارج الزمن، خارج المستقبل وخارج الماضي،..."[٧٠] كما في ضواحي سيناء أخرى يخاطب الشّعب الذي سيهاجم الباستيل. ولكن من صاحب هذا الصّوت؟ فهل يُلقي كلمة حقيقية؟ فثمة إله يعمل في الرّواية التي يعطيها ميشليه للحلقات المميّزة للثورة تم استدعاءه بشكل احتفالي إلى ساحة مارس من طرف القائمين بقدّاس الاتحادات، بَيْدَ أنّ السّتار الذي يخفيه لا يتمزق كُلِّيَة، أو أنّه يتمزق ظاهريا فحسب، إذن فإلى إله مجهول" *nescio quis Deus*" أو رُبّمَا غائب يتَوَجُّه الاتحاديون. فهل ستظل الثورة استنادا إلى ميشليه إن لم تكن كل ثورة وَحْيًا غير مكتمل في الأمل أو في الذّكرى؟

يقول هذا المؤرخ: "فَكُلُّ العالم أَقْسم أنّهُ من هذه اللّحظة الرّفيعة، ومن العديد من الأماني الخالصة والصّادقة، ومن الكثير من الدّموع المختلطة بالدفئ المُرَكَّزِ للعديد من الشّعلات في شعلة واحدة: سيُخلق إله. رآه وأحسّه الجميع (...) قروِيّونا الهُمْجُ للماين Maine وفي مسيرات من لابروتان La Bretagne [٧١] والذين كان تعصُّبٌ خائن على وشك أن يقلبهم ضدنا، جاءوا بأنفسهم عنئذ، متأثرين، مستعطفين، للانضمام إلى اتحاداتنا ولتقبيل مذبح الإله المجهول."[٧٢].

فإذا كانت الثورة استنادا إلى ميشليه تحتفظ بصفتها كوحي، فهي تفرض على الفاعلين والشّهود وخلفِهم أهمّ الواجبات. إذن فكيف نعطي تتمة لحدث يبدو أنّه قطع خط الزمن؟ وكيف نعيش ونفكّرُ في الزّمن الذي يليه ويهدف إلى استئناف مساره العادي؟ يرى هذا المؤرخ أن ذلك سيتحقق عبر تخليد "يوم المَجْدِ" باعتماده في الحياة الحاضرة لا بإسناده إلى الذّاكرة حيث يُدرَجُ الماضي. فإذا كان من عاصروا السّيطرة على حصن الباستيل قد سَعَوْا إلى تخليد العمل المؤسس؛ فقد استلهم ميشليه من نموذجهم بعد أن أصبح المؤرّخ الذي يولي

اهتمامًا خاصًّا لاحتفالات الثورة، ومن شعائرهم تلك أدرك مدى التّحدي ونال الإلهام[٧٣].

يُبَيِّنُ هذا المؤرخ أن الشّعب يوم ١٤ يوليوز ١٧٨٩ أخِذَ على حين غِرَّةٍ، لذا سَيْطَرَ فقط على حصن الباستيل، أمّا في ١٤ يوليوز ١٧٩٠ فبات بإمكانه أن يُحَدِّدَ؛ فبإحياء ذكرى السيطرة على هذا المعتقل اكتمل العمل واكتشف الشعب في الوقت ذاته هويته الخاصّة. في الواقع، إذا كان اندفاع الجموع الهائجة أرْعَنًا، فتجمهر الاتحاديين كان مقصودا، لِذَا وبعد وَهَجِ الوحي، كان لزامًا الشّروع في تنفيذ الثورة. فسكّان الضّواحي وَهُمْ يتّجهون إلى ساحة مارس حَوَّلُوا إلى مجتمع روحي الاندفاع الأخوي الأوّل وأعطوا صورة مُشَرِّفَةً عن فرنسا، وهو المعطى الذي يوضّحه ميشليه بقوله: "كان لابد من عالم كامل من الأكاذيب الغير طبيعية لمنع النّاس من التّقارب. الجمارك الدّاخلية، رسوم لا حصر لها على الطرق والأنهار، وتنوع لا نهائي للقوانين والأنظمة (...) ذات صباح، سقطت هذه الحواجز، وانهارت هذه الأسوار القديمة. عندئذ بدأ النّاس يتواعدون، ويتعارفون وهم متشابهين، فقد اندهشوا كيف تمكّنوا من تجاهل بعضهم كل هذا الوقت، وندِموا على الأحقاد الشّعواء التي عزلتهم لقرون عديدة، فهم يُكَفِّرُونَ عنها، ويتقدّمون بعضهم في مقدمة البعض الآخر، وهم يستعجلون صَبَّ قلبهم."[٧٤].

بعد أن جَرَفَتْهُ "حركة الاتحادات" وعدوى التآخي كتب هذا المؤرخ الصّفحات الأكثر جمالية من مؤلفه: "تاريخ الثورة الفرنسية"، موظِّفًا في إحياء الذّكرى هذه الصّيغة التي نظنها خطأ أنها حِكْرٌ على الفعل المؤسس: "لحظة نادرة حيث يمكن أن يُولَدَ عَالَمٌ، ساعة مختارة مقدّسة!"[٧٥]. لكن هذا الحماس ما كان ليفقده بصره، بل حثه على أن يتصدّى بقوّة لكل احتفال ثوري يُقَلِّدُ بشكل هزلي المعجزة المحتفى بها؛ على سبيل المثال: لَمَّا وجّه بذكاء الفنّان التشكيلي جاك لويس داڤيد Jacques Louis David (١٧٤٨ -١٨٢٥) مَوْكِبَ ١٠ غشت ١٧٩٣؛ وهو مبعدٌ، فقد وَجَدَ الشّعب نفسه ممنوعا من القدّاس، وأيضًا لما أَفْسَدَ الحرص التنظيمي لروبسبيير Robespierre (١٧٥٨-١٧٩٤) قدّاس الكائن الأسمى l'Être Suprême [٧٦] لـ ٨ يونيو ١٧٩٤[٧٧].

حَرِيٌّ بنا أن نتساءل عمّا تبقّى من اتحاد الأمْسِ؟ فالانتكاسة فادحة لا يمكن تصحيحها؛ فعلى المستوى الاستطيقي قوّضت طقوس الكنيسة الرّومانية إرث ماضٍ يبدو أن "صاعقة" ٨٩ قد ضربته. بينما أُغْلِنَتْ على مستوى حِسّ المواطنة أزمة الأخوّة الثورية؛ إذ تخوَّفَ منظّمو الاحتفالات البورجوازيون من ألا يتلاءم معها الأشخاص الصّغار، مفضّلين تقديم عرض شعبي بَدَلَ خلقِ قدّاس يوقظُ الشعور المقدّس والهدّام للمساواة؛ بالتّالي أصبح التكرار بلا فائدة، ما دام لا يبعث اليوم العظيم الذي كانت فيه الثورة وَحْيًا[٧٨].

مِنْ ثَمَّ، تتأتّى رغبة ميشليه في النّجاح حيث أخفق داڤيد؛ فكتابهُ: "تاريخ الثورة الفرنسية" ليس على أيِّ حالٍ إلاّ خطابا تذكاريا يسعى سنة ١٨٤٧ وتحديدا عشية ثورة فبراير ١٨٤٨ إلى إعادة التّأكيد على فعل إيمان الأسلاف العظماء عبر التذكير به؛ سيما وأنّه في سنة ١٨٤٧ لم تكن قد لُفَّتْ بَعْدُ في "الكَفَنِ الأرْجواني" للتّاريخ الرّسمي المشكوك فيه بدوره ذاكرة الثورة التي تنتمي بالفعل إلى الذّاكرة الحيّة وتحافظ لدى الأحياء ممن عاصروا الثورة وتكتسي عند أبنائهم سمات التزام شخصي وقناعةً عادة ما تَحُلُّ مَحَلَّ الممارسة الدّينية[٧٩].

في ١٨ نونبر ١٨٤٦ فَقَدَ ميشليه أباه ذي الثلاث وسبعين سنة الذي كان عاملا في مطبعة الأسينيين Assignats[٨٠]. ففي مقدمة كتابه: "تاريخ الثورة الفرنسية" حَيَّى مرة أخيرة "الشّخص الذي حكى [له] الثّورة مرارا، الرجلَ الذي كان بالنسبة [إليه] الانطباع والشّاهد على القرن الكبير؛ أريد أن أقول: القرن الثامن عشر."[٨١]. فالابن يحس بأنّه معاصر للحكاية المقدّسة التي حكاها له والده بعد أن عاشها، فبالذات أسفل الباستيل تلقّى هذا المؤرخ خبر وفاة أبيه، وقد أشار إلى ذلك بقوله: "كنتُ في أسفل الباستيل، أرتادُ الحصن، أَرْفَعُ على الأبراج العَلَمَ الخالدَ (...) أتتني الضّربة غير متوقعة، كرصاصة من الباستيل"[٨٢].

إلاّ أنّ الماضي ما كان ليتم إلغاؤه بسبب وفاة النّاطق الرّسمي به؛ إذ ثمة شهود آخرون هم في كل مكان وقريبين جدّا، لم يَأْلُ ميشليه جهدا في حثّ مستمعيه بكوليج دوفرانس على سماعهم بدل الانغماس في قراءة أعمال المؤرّخين، وهي القناعة التي يختزلها في: "كل يوم، بينما أنتم هنا، في غرفتكم، تقرأون لست أدري أَيَّ كتب، تواريخ الثورة، ربّما تاريخي، [أيْ مؤلف "تاريخ الثورة الفرنسية"]، في الواقع! أعتقد أنّه، في هذه اللّحظات، تسمعون أحيانا، دون أن تَعرفوا ذلك: الثورة. أقصد هذا الرجل الذي يبلغ من العمر ستّين سنة، وربّما أكثر، والذي، ينادي بسلعة معينة بصوت أَجَشٍّ (...) صدّقوني: إنّها الثورة التي تَمُرُّ (...) بحيث إذا وضعتم الرّأس في المفترق، فستجدون أنّه الشيء نفسه الذي تعتقدون قراءته في كتبكم والذي تُعطيكم عنه الكتب صورا غير دقيقة، إنّها الحقيقة التي لا تزال قائمة."[٨٣].

بهذه "الحقيقة" المنقولة من فَمٍ إلى أُذُنٍ كما كانت في زمن بعيد، يَكُونُ "الخَبَرُ السّعيدُ" أو كِتَابُ ميشليه "تاريخ الثورة الفرنسية" مُعْتَصَرًا ومُتَغَلْغِلاً. فإذا كان هذا المؤرخ يتباهى بأنّه أوّل من وظّف أرشيفات لوتيل دوفيل دوباري وولاية الأمن وسجلّات الأقسام الباريسية في كتابة تاريخ ثورة ١٧٨٩، فهو يفتخر أكثر بتلقّيه "التقليد الوطني المتردّد على ألسنة الشعب"[٨٤]، لاسيما وأن مضمون هذا التّقليد هو ما يعطي الطّابع السّردي لإنجيله "تاريخ الثورة الفرنسية" الذي يسْتَنْسِخُ "صوت الشعب". يعتقد ميشليه جازما أنّه عندما لا تعطى الكلمة للفاعلين، فإنّه يتعيّن على المؤرخ أن يأخذها دون خَجَلٍ كحاكي بين الحكاة وشاهد بالوكالة أو المحاكاة بين الشهود يتولّى التّسجيل بغية تخليد دائمٍ لذكرى الوحي[٨٥].

يظل إنجيل ميشليه "تاريخ الثورة الفرنسية" احتفالا بالثورة باقتدار، بقدر ما يتَكَشَّفُ بدوره كاحتفال ثوري. فَهُوَ يلتمس من القارئ مشاركة إيجابية، يقتضيها نيابة عن الكاتب أوَّلاً، يعطي ميشليه مثالاً عنها وهو يتواصل مع المحاربين القُدامى للمغامرة الكبرى، فبعد أن ألّف "ذاكرة" ١٤ يوليوز ١٧٩٠، فقد اشترك مع الاتّحاديين الذين قاموا بتلقينها في المساء ذاته بعد أن نَفَّذُوها شعور عيش "أفضل يوم في حياته"[٨٦].

إذن فميشليه أو هذا المؤلِّفُ الملهَمُ يُشْبِهُ الأخ وهوميرHomère (القرن الثامن قبل الميلاد-القرن الثامن قبل الميلاد) الذي يَرْسُمُ مؤرخا صورته في درسه الغَيْرِ مُلقًى بكوليج دوفرانس لـ ١٧ فبراير ١٨٤٨ قائلا: " الذي سيكون مُدمِجًا الأسطورة كثيرا وستكون في دمه، في لَيْفِهِ وفي عظامه، هذا الشّخص ستكون له موهبة؛ هي أن لَيْفَ الجميع سيتحرّك لكلمته و الكُلُّ سيَفْهَمُهُ، الجميعُ، قرويون، عمّال، وأكثرالعمّال جهلا (...) كل القلوب وهي مجتمعة حوله ستشكل للمُلَحِّنِ العظيم شبه بيانو ضخم وهو الذي سيُحرك أوتاره على هواه؛ وسيلعب بفرنسا بأكملها."[٨٧]

إنّه لقُدّاسٌ فَعَّال هذا الذي يُنَظِّرُ له ميشليه، لكن يجدُر بنا أن نتساءل عن العقيدة التي يخْدِمُها، يلوح هنا واجب مضني؛ فإذا كان هذا المؤرخ يريد تعبئة طاقات العقيدة المستمدة بشكل عفوي من الثورة الفرنسية، فهو يحاكمها بلا رحمة. ويتجرأ أيضًا على الإقرار بأن الجمهورية الأولى (١٧٩٢-١٧٩٥) انهارت بسبب الافتقار إلى الرّمزية وأن الثورة رخّصَتْ نفسها وهي تَتَسَيَّسُ، وأنها لو بقيت دينية فإنّها كانت ستؤدي إلى تجديد حقيقي للنّظام الاجتماعي، وهي القناعة التي يفصح عنها بقوله: " خصبة بالقوانين، عقيمة من حيث العقائد، فهي لا تُكفي الجوع الدّائم للرّوح البشرية الجائعة أبَدًا، والتي أظمأها الله (...)، فالحزبان المفكّران: الجيروندين[٨٨] واليعاقبة لم يُعِرَا هذا إلاّ القليل من الاهتمام، فلاجيروند تجاهلت المسألة تمامًا، أما اليعاقبة فتَهَرَّبُوا منها، إذ اعتقدوا أنهم يَدْفَعُونَ للرّب بكلمة واحدة".[٨٩]

ثالثًا: ثورة ١٧٨٩، الواقع والرِّهانات

١/٣-الواقع

على الرغم من "صاعقة" ٨٩، في الواقع فما انفك الماضي يُلقي بكامل جموده على العاتق الثوري؛ كمثال على ذلك، عقد الثورة اتفاقا مع الكنيسة بإعدادها تسوية الدّستور المدني لرجال الدين[٩٠]. وهم سجناء لتربيتهم الدّينية، فقد استعان بها الثّوريون للتفكير بوحي ثورة ١٧٨٩ الفريد الذي شجّعوا في إطاره نماذج مستمدة من اللاّهوت التّقليدي؛ مثلا لمّا حبسوا أنفسهم في قضية الخلاص العام التي طرحها ريشليو Richelieu (١٥٨٥ -١٦٤٢) قَبْلَهُمْ بَدَلَ الرّجوع إلى العدالة التي تفترضها الثورة، وهو المعطى الذي يوضحه ميشليه بقوله: "العدالة، يُحَاجِجُ رقيبهم، فكرة إيجابية، مُطْلَقَةٌ، تكفي ذاتها. الخلاص هو فكرة سلبية، تستلزم إنكار الفناء، والموت، (...) فأولئك الذين قاموا بإنزال الثورة من العدالة إلى الخلاص، من فكرتها الإيجابية إلى فكرتها السّلبية، منعوا عبرذلك بالذّات، الثورة من أن تكون دينًا. أبَدًا لم تؤسس فكرة سلبية إيمانا جديدا، بالتّالي ينبغي أن ينتصر الإيمان القديم على الإيمان الثوري عاجلا أو آجلا"[٩١].

ارتكب رجال الثورة خطأ آخر لمّا اعتقدوا أنّ بمقدورهم ترجمة عقيدة وَحْيِهِمْ إلى لغة فلسفة الأنوار. فحتّى إن بَدَوْا هذه المرّة وقد تخلّصوا من التعليم الذي تلقّوه في كوليجاتهم فقد استسلموا على الرغم من ذلك إلى إغراء إنزال الثورة الفرنسية التي لم يسبق لها مثيل إلى مستوى ما سبق وسُمِعَ به، الحاضر إلى المستقبل، الثورة إلى التقليد؛ "فإعلان حقوق الفرد والمواطن"، فرض نفسه وهذا صحيح بعد رفض "الرغبة" الملكية، وهو ما برهن عليه ميشليه بقوله: "فعن الحق يتعيّن الحديث في لحظة كهذه (...) لقد اعتقدنا في السّابق، أن هناك واجبات فقط"[٩٢]، لكن تأييد مؤرخنا لا يخلو من بعض التحفظ، فلمّا تطرق بعد موت الجيروندين للنّهاية الفتّاكة لسياسة السّلامة العامّة، تأسّف عَلَنًا دون إيراد تفاصيل عن عدم رضاه عن إسناد مسؤولية صياغة نصوص الاعتراف الأول[٩٣] "لعلماء منطق" الجمعية الدّستورية خُدَّام المنطق الفلسفي، وهو ما عَبَّرَ عنه بقوله: " لا تزيد الثورة ميراث الأفكار الحاسمة التي

ورّثتها لها فلسفة القرن. لقد نفذت في مؤسسات جزءا من هذه الأفكار، لكنّها أضافت لها القليل"[٩٤] وقد تكرَّرَ العَوَزُ اللاّهوتي لرجال الثورة لا سيما إبّان "بابوية" روبيسبيير، في هذا الصدد يتساءل ميشليه عن الجدوى من الاحتفال الأكاديمي والفخم للعقل لـ ١٠ نونبر ١٧٩٣ قائلاً: "لا، هذه الهيئة السّلبية، والمجرّدة لله، مَهْمَا كانت عظمتها وعُلُوُّهَا، لم تكن تلك التي تسألها القلوبُ ولا حاجة العصر. من أجل دَعْمِ مجهود الأبطال والشّهداء، كان يلزم إله آخر مقارنة بإله الهندسة."[٩٥].

علاوة على ذلك يبقى الكائن الأسمى غير شخصي مقارنة بذاك الذي اختلط بالمجتمعين في ساحة مارس يوم ١٤ يوليوز ١٧٩٠؛ فهو ليس الإلهَ الحيَّ بل إله الكاتب الذي لم يَسْبِقْ أن التقاه روبيسبيير إلاّ بمكتبته، وهو ما يوضحه ميشليه بقوله: " تَمَثَّلَ عَجْزُ علم الكلام في اعتقاده أنه يتعيّن البحث عن الله في كتاب، في صفحة معيّنة لروسو كما في القاموس، وليس في التّعرف عليه في الأشكال اللاّنهائية للحياة والعمل الوطني."[٩٦]، وكما يعلم الجميع جيّدًا فالجمهورية لم تُعَمِّرْ طويلاً بعد فشل الثورة الدّينية[٩٧].

يبرّئ ميشليه إلى حد ما المسؤوليين عن هذا الفشل الذين تفاجأوا بحجم واستعجال المهمة المراد إنجازها، لكنّه لا يُذعن لهذا الواقع. فهو يعتقد أنّه وبعد "عُمُرٍ أوَّلٍ (للثّورة) كان تعويضا عن الظّلم الطويل للجنس البشري، وزَخَمًا من العدالة" سيأتي "عاجلا أو آجلا عُمُرٌ ثانٍ ستخرج فيه الثورة من الصّيغ، وستَجد عقيدتها الدّينية، (حيث يتأسّس كل قانون سياسي)،..."[٩٨]. بَدَلاً "من الانتظار إلى حين " استنادا إلى القول الرّوحاني المأثور، ارتأى رسول كوليج دوفرانس التّعجيل بدورة "العُمُرِ الثاني" للوحي الحديث، وحاول الحديث عن "الإله المجهول" للاتّحاديين بِصَوْنِ خطابه من كل تقليد وعدْوى، "ليواصل هذه الميتافيزيقا الثّورية"[٩٩] في الجزء الثّالث من كتاب: "الشّعب" "Le Peuple" (١٨٤٦) حيث طرحَ "الانعتاق عن طريق الحب" De l'affranchissement par l'amour" " الذي بدأه في درس ١٨٤٥، بينما ازدادت دعوته إلى الإنجيل الجديد في درس ١٨٤٧ الموسوم بـ "عن الثورة" [١٠٠]"De la Révolution" وفي الدّرُوس الممنوعة ولكن المنشورة على الفَوْرِ في كراريس خلال شهري يناير وفبراير ١٨٤٨ [١٠١] بعد أن جعلت أيّام ثورة فبراير عاجلة أكثر من أي وقت مضى- كتابة دَرْسٍ يُلقى يوم الأحد وتنظيم قدّاس[١٠٢].

لقد غضب هذا المؤرخ من عدم تَشَرُّبِ الفرنسيين بُعَيْدَ ثورة فبراير ١٨٤٨ لموروث الثورة الفرنسية؛ فراودته فكرة صياغة "إنجيل للشعب"" Bible du peuple "، ووضَعَ في ١٦ يونيو ١٨٤٨ خطّة " للتربية المشتركة والوطنية" قَدَّمَها إلى بيرونجي Béranger (١٧٨٠ -١٨٥٧)، وكل ذلك بحسبه: " قضية مستعجلة، وقضية مُلِحَّة، في رأيي: أن نَعْمَلَ مَعًا بِحَمَاسٍ لِغَمْرِ فرنسا بالنّسغ الجمهوري، الاستعاضة عن الإيمان بالعبادة، وعن الفكرة بالإنسان: وإلاّ، سنموت."[١٠٣]. إلاّ أن الأحداث سبقت جهوده المبذولة، فقد أحبطته أيّامُ يونيو ١٨٤٨[١٠٤]، فهل سيكون مآل الثورة هو التّلاشي في ارتجال مأساوي وأن لا تُبْلِجَ أَبَدًا العقيدة التي تَحْمِلُ في طيّاتها؟ في الوقت ذاته، وكمهتم بالدّيانة التي من شأنها أن تَضْمَنَ لصاعقة ١٧٨٩ مستقبلا دائما، واصل "لاهوتِيّ الشّعب" بِدَأْبٍ جهوده التّبشيرية في دروسه الأخيرة بكوليج دوفرانس حتّى إعفائه النّهائي في ١٢ أبريل ١٨٥٢ من مهامّه كأستاذ بمنبر "التاريخ والعبرة" " l'histoire et la morale"بهذه المؤسسة[١٠٥] وفي الأجزاء المتبقية من مؤلّفه: "تاريخ الثورة الفرنسية"، الذي صَدَرَ جزؤه الأخير سنة ١٨٥٣، وإرّاء هذه الخلفية شرع خلال شتاء ١٨٥٣-١٨٥٤ في صياغة كتابه: "المأدبة أو وحدة الكنيسة المقاوِمة" Banquet ou "Le l'unité de l'église militante" حتّى يكون ميثاقا للعقيدة الجمهورية، لكنّه لم يُتْمِمْهُ وتخلّى عن نشره[١٠٦]، وأصدر لاحقا مؤلفاته التّالية: "الذّاكرات الدّيمقراطية للشمال" " Légendes démocratiques du nord" (١٨٦٣) الذي توالت حلقاته ابتداء من عام ١٨٥١، و"إنجيل البشرية" " Bible de l'humanité" (١٨٦٤) و"أبناؤنا" "Nos Fils"(١٨٦٩) الذي يفي جزئيًا بوعود التّربية الشّعبية لعام ١٨٤٨[١٠٧].

لا يتعيّنُ نسيان أن ميشليه يواصلُ كتابة أجزاء مؤلّفه: "تاريخ فرنسا" متطرّقا إلى مواضيع النّهضة[١٠٨] والإصلاح وإلغاء مرسوم نانت[١٠٩] وحرب الكاميزار[١١٠]. مع ذلك، فهو يظل غير مرتاح كعالم دينٍ مُختص بحقائق الإيمان، أكثر منه كراوٍ للوَحْيِ الجديد. إذ يضع في معظم الأحيان إيدولوجية ذات طابع إنساني يستمد عناصرها من فلسفة الأنوار بَدَلاً من أن يستخلصها من نظر جِدّي في سِرِّ الثورة. ففي مؤلّف "الشّعب" وفي دروس كوليج دوفرانس يتوقّف العرض فجأة عن أخذ مادّية الوقائع بعين الاعتبار. فميشليه لا ينتقل "عبرانحراف تام" إلى مثل هذا الخطاب الطّوباوي، إلاّ عندما يتصرّف كمؤرخ، فهو يتظاهر بالإحجام. إذ لا يتعلق الأمر هنا بالدّيانة المعلنَةِ التي تتبلور بل بمدينة فاضلة أخرى، فرغم أنّها أَسْمَتْ "الكنيسة الكُبرى للعدالة، التي تُدخِلُ العديد من الشعوب والعصور، ظلّت قائمة

حتّى وصلت إلينا"[111]، فخاتمة مؤلَّفِهِ "إنجيل البشرية" لا تتيح دخول هذه الكنيسة ولا تُظهرها ولا تَفْتَحُ بَابَهَا [112].

2/3- الرّهانات

واعيًا بعجزه حتّى وإن كان لا يُقِرُّ به عَلَنًا، وبعد أن اقتنع أن ساعة الكنائسية قد حانت سنة ١٨٥٤، فَكَّرَ ميشليه للحظة وتحديدا وهو بصدد صياغة مؤلّفه: "المأدبة، أو وحدة الكنيسة المقاوِمة" في الاعتماد على الاشتراكيين، ولا سيما على كل من إيميل بابوف Émile Babeuf (١٧٨٥ -١٨٤٢) الذي تُقرِّبُهُ منه ذكرى أبيه كْراكشيس بابوف Gracchus Babeuf (١٧٦٠ - ١٧٩٧) الملتزم إزّاء أنصار المساواة[113]، وفوريي Fourier (١٧٧٢ - ١٨٣٧) الذي لطالما أثار إعجابه؛ فتصوّر تحالفا بين"الكنيسة الجمهورية" والكنيسة الاشتراكية"، بين ذاكرة الثورة الفرنسية ونبوءة مجتمع جديد، بين التّقليد والعقيدة النّضالية للعدالة، وكل ذلك بحسبه: " الجمهورية وهي مُصابة اليوم ومُمَدَّدَةٌ، أحسّت أنّها في انبعاثاتها المقبلة ستمضي دائما، بشكل عابر، إذا هي اكتفت فقط بكتابة وإصدار القانون، وإذا هي لم تَجْعَلْهُ يَنْبُتُ في جِدْرٍ حي (...) وفهمت الاشتراكية، من خلال شهدائها، وهو ما عجز عن فَهْمِهِ كبارُ مثالييها في أحلامهم للوئام غير المشروط : أنّه، مَهْمَا كانت مصائر الإنسانية، فإن انسجامها يفترض دائما قطعة أُولَى ضرورية، حيث كل المؤشّرات، من الأرض إلى السّماوات: الواجب، ونكران الذّات، والتضحية. هذه، هي القطعة الذّهبية، إنّها الميدالية الخالدة التي وضعتها الثورة في أسس العالم الحديث".[114]

إذا كان هذا المؤرخ قد بَدَا عاجزا عن أن يُحَدِّدَ بشكل مُسبقٍ الأساس والمضمون العقائدي لتحالف الدّيمقراطية المقدّس هذا، فقد اقترح له على الأقل عَبْرَ الإحالة على العشاء الأخير la Céne [115] قدّاسا أكبر مقارنة بمأدبة أفلاطون Platon (٣٤٨-٣٤٧ ق م/٤٢٨ - ٤٢٧ق م). فمادام أنّ "أي كِتَابٍ لم يُورِدْ بَعْدُ الرّمْزَ الجديد"[116] للدّيانة، [أي الاعتقاد في مبادئ ومكتسبات الثورة الفرنسية] فإنّه ينبغي تفضيل البادرة على المؤلّفات؛ ستتمثل هذه البادرة في القربان والاقتسام على مائدة مفتوحة: قربان طريف سيتطابق فيه نموذج الاحتفال الشّعبي الذي وضعه روسو في مؤلفه: "رسالة حول المهرجانات" "Lettre sur les spectacles" (١٧٥٨) مع نظيره القربان المقدّس، كما يشير إلى ذلك ميشليه بقوله: "أَنْ يَنْسَجِمَ الشّعب بنفسه، وقلبه، ويرى هناك مضيفه الخاص"[117]. يبدو أنّه سيكون للإنسانية والعبادة الإنسية القول الفصل هنا، مع ذلك يُنَبِّهُ مؤرخنا سَيِّدُ الحفل فجأة إلى أنّ إله هذا الاحتفال حيث كل النّاس مدعوون كإخوة يمكنه أن يندمج مع إله الإنجيل الذي يدعو نفسه الأب "Le Père" مقترحا على الضّيوف أن يُصَلُّوا جميعا وِفْقَ الصّيغة التي علَّمَهَا المسيح، وهي القناعة التي يختزلها هذا المؤرخ قائلاً: "أن يكون التزامنا تامًّا! فهذه هي الصّلاة العصرية، مواءمة الإنسان مع إله- الإله، نعني هنا بذلك أن نُسَمِّي الإله بالأب. يبقى من الأساسي قول هذا، لأنّه اليوم من بالتّالي، عَدَانَا نحن ربّما، يهتم به؟"[118].

إن رغبة ميشليه في إقامة المأدبة، تظل صادقة، متّقدة ومؤثرة لكنها طريدة، "فلاهوتيُّ الشعب" لا يقوم إلاّ بالكشف عن إمكانية توضيح عبر وحي العهد الجديد (أو القديم)[119] الوحي الذي تلقّاه الثوريون الفرنسيون بدورهم. فإله الديانة التي يتبنّاها هذا المؤرخ يبقى بإصرار غير شخصي. وأبكم، أمّا "الإرادة العامّة" التي تعمل في الثّورة فلا تقبل ديانة أخرى إلاّ وهي مُتّخَذَةٌ بالإجماع، فعلى نقيض شعب إسرائيل أو القربان المقدّس العالمي للقدّيسين[120]، فإن "شعب" ١٤ يوليوز تحالف مع نفسه فقط. فَكُلُّ ما قامت به الكنيسة الجمهورية أو الإشتراكية للمأدبة هو تقديس الجمهورية la République "، الجمهورية"" la *res publica* " أو المجتمع بشكل جزيء. فهي تُنْكِرُ على إلهها التّسامي أو الوجود الذّاتي لإله الإنجيل، تاركة لمخرجي احتفالات الثورة تجريد الكائن الأسمى، محاوِلَةً في ذات الآن أن تُكَرِّسَ أمام "الثورة الكلاسيكية لروسو وروبيسبيير" "الثورة الرّومانسية التي تَزْأَرُ مرتبكة خارج الأسوار كصوت للمحيط"[121]، والتي يبقى ميشليه أحد أبنائها الشّرعيين والبررة.[122]

خَاتِمَةٌ

تَوَسَّمَ ميشليه الثورة الفرنسية كإنجيل للتاريخ المعاصر يَحْمِلُ في طيّاته كل مقوّمات الدّيانة؛ لقد كانت أحداثها في نظره "سلوكيات لتَحَرُّكٍ جماعي ارتبط بفتح آفاق جديدة لمصير الإنسانية وإعطاء الحياة الفردية معنى آخر، أمّا الأحاسيس التي رافقت تجربة كهذه فظلت وهي منصهرة في قالب الوعي الثوري قادرة تماما على قلب الكائن والوعي السّائد."[123] من هذا المنطلق، وفي إطار سعيه إلى تأسيس ديانة للثورة الفرنسية تَغْمُرُ الجمهورية الفرنسية بتدين شعبي فقد أعطى هذه الثورة أو مؤسسة ١٧٨٩ على حد تعبيره سلطة وشرعية تكاد تكون مقدّسة، جاعلا من الشعب شخصية أسطورية أو "المسيح" في نسخته الحديثة.

لرُبَّمَا مع هذا المؤرخ فقط أخذت الثورة الفرنسية بُعْدًا دينيا غير مسبوق؛ وهو يحكي ميلاد المسيح الشّعب والأمل الذي تَوَلَّدَ وحياة ومغامرات الشعب كمُخَلِّصٍ جديد، تكون مقاربته للثّورة الفرنسية ما هي إلاّ محاكاة للنموذج الإنجيلي. فإذا كان جمهور المؤرخين يرى في هذا المنظور الشّبه ديني تساهلا لم يتَمَاشَ مع الدّقة التي تقتضيها الكتابة التاريخية، فقد أمدّها مع ذلك بقوة كبرى درامية لسرد الأحداث، وهو ما توضحه بول بوتيتيPaule Petitier (١٩٥٩- ...) بقولها: "انتقادُ ميشليه على افتقاره إلى الدقّة، كما أمكننا فعل ذلك؛ هو تجاهل القدرة الاستثنائية للمؤرخ والكاتب في الربط بين الجمالية الأدبية والذّكاء التاريخي في وصفه لاستيقاظ أمّة تكتشف أنّها ذات سيادة."[١٢٤].

الاحالات المرجعية:

(١) هناء حسين، **ما هو الوحي**، ٢- الوحي، موضوع أكبر موقع عربي بالعالم . https:// mawdoo3.com
آخر تحديث: ١١:٠٨، ١٦ شتنبر٢٠١٨. - شوهد بتاريخ: ٨ ماي ٢٠٢١.

(2) Jean Pierre Rioux, La Révélation française de Michelet, L'âge de la Nature et celui du Christianisme, La Croix, De la-croix.com, proposé par Google, le 21/02/2019 à 06: 10 mis à jour le 21/02/2019 à 07:37.
- Vu le: 8 mai 2021.

(3) Romain Treffel, La Révolution française selon Michelet, La Révolution française constitue une rupture fondatrice, 1000-idées- de- culture-generale.fr
- Vu le: 8 mai 2021.

(٤) للمزيد حول موقف ميشليه من ثورة ١٨٣٠، راجع: -ياسين زينون، "**منطق الكتابة التّاريخية عند المؤرخ جول ميشليه Jules Michelet**"، أطروحة لنيل الدّكتوراه في التاريخ، جامعة محمد الخامس أكْدال، ٢٠١٣ - ٢٠١٤، ص ص: ١٧٢- ١٨٦.

(٥) **جول ميشليه**: (١٧٩٨-١٨٧٤)، مؤرخ فرنسي، من بين أهم مؤلفاته: "تاريخ فرنسا" "Histoire de France" الذي أصدره في سبعة عشر جزءا بين عامي ١٨٣٣-١٨٦٧. (التعاريف مستقاة من موسوعة Encyclopédie Universalis 2004).

(٦) **مرض القرن**: لَمّا أصدر فرانسوا روني دوشاتوبريون François René de Chateaubriand (1768- 1848) سيرته الذاتية "روني" "René" سنة ١٨٠٢ كان قد بدا واضحا قلق الجيل الرّومانسي من فشله في إثبات وجوده وتجربته المريرة مع عدم توافق متطلّباته مع العالم والمجتمع. مثّل "مرضُ القرن" هذا الوعْيَ بعدم تَكَيُّفٍ جوهري للكائن المُرْهَفِ الحسِّ مع محيطه الاجتماعي. لقد عَبّرَ الكتّاب الرّومانسيون بذلك عن نوع من خيبة الأمل: فمن منظورهم فالعالم سيئ والمجتمع فاسد؛ هروبا من هذا الإحساس، انطوى الرومانسيون الشّباب على أنفسهم وأعطوا الأسبقية لحياتهم الدّاخلية، وحتّى يطردوا عنهم هذا الإحساس فقد كتبوا ورسموا ونحتوا ونقشوا.

(٧) **أغاني الشّفق**: ديوان شعري لفيكتور هيجو صدر عام ١٨٣٥، يطبعه الكرب والقلقُ اللّذان تسَلّلاَ إلى الحياة الشّخصية للشاعر. فَحُبُّهُ لجولييت درووي Juliette Drouet (١٨٠٦-١٨٨٣) أوحى له بهذه القصائد ذات الحماسة الكئيبة؛ في فترة تراجع فيها إيمانه الدّيني وأصبح يُحِسُّ في داخله " إرّاء الحاجة إلى الاعتقاد، بحاجة إلى الإلحاد". علاوة على ذلك، فقد أحبطته الحياة السياسية: إذ لم تَفِ ملكية يوليوز بوعودها اللّيبرالية، وتمت إعادة فرض الرّقابة على الصّحافة وحرية التعبير. ما حذا بهيجو في ديوانه هذا إلى محاولة استكشاف مستقبل فرنسا ثلاثينات القرن ١٩، بالتساؤل عمّا إذا كانت فترة الغروب المضطربة ستكون متبوعة بظلمة اليأس أم بفجر الأمل؟

(٨) كيف تنتهي العقائد: أصدر جوفروي مؤلّفه هذا سنة ١٨٢٣، وناقش فيه كيف تنتشر كل عقيدة إنسانية وتمتد وتُشْتَرَكُ وتختلط بحزب أو كنيسة إلى أن تغدو سائدة ومتصلبة ثم ضارة، فتندثر بالتالي فاسحة المجال لعقيدة أخرى.

(9) Alfred de Vigny, Servitude et grandeur militaires, Paris, éditions, Delloye et V. Lecou, 1838, p. 383.

(10) Charles Augustin Sainte-Beuve, Premiers lundis, t. II, deuxième édition, Paris, Michel Lévy frères, 1875, p. 28.

(١١) الكتابات المقدسة أو الكتابة المقدّسة في الخطاب المسيحي: هي الأقوال التي كتبها أو قالها القدّيسون رجال الربّ والمستوحاة من الرّوح القُدُسِ؛ فصفة "كتابي" "Scripturaire" (باللاّتينية سكريبتورا scriptura، كتابة écriture) تعني ما هو متعلق بالكتابات المقدّسة، والإنجيل هو تجميع للكتابات المشتركة بين الكنائس المسيحية.

(12) Jules Michelet, Histoire de la république romaine, t. III, Paris, Bibliothèque nationale, 7(ème) édition, pp. 235-236.

(١٣) للمزيد حول مفهوم المدينة عند ميشليه، راجع:- ياسين زينون، **"الأمّة الحداثية الفرنسية من منظور ميشليه"، دورية كان التاريخية**، السّنة الحادية عشرة، العدد التاسع والثلاثين، مارس ٢٠١٨ – جمادى ثاني ١٤٣٩، ثانيا: "الوطن" و"المدينة" كإطارين للأمّة الحداثية الفرنسية، ٢/٢ – مدينة الجميع، ص : ١٢.

(14) Jules Michelet, Introduction à l'histoire universelle, Paris, Ernest Flammarion, 1897, p. 467.

(15) Ibid., pp. 462-463.

(١٦) **السانزكيلوت**: كان الشّعب في مصطلح الثورة يعني الفلاّحين وعمّال المدن، فهو ذلك الخليط غير المتناسق الذي ضَمّ الجزارين والخبازين وصانعي الجعّة (البيرة) والبقّالين والطبّاخين والبائعين الجوّالين والحلاّقين وأصحاب المحلات والفنادق وتجار الخمور وصانعيها والنجّارين والبنائين الذين يَطْلُونَ البيوت والعاملين في مجال الزجاج وصانعي الجص وصانعي الأجر وصانعي الأحذية والخيّاطين والصبّاغين وعمال النظافة وصانعي الثياب والحدّادين والخدم وصانعي الأثاث وصانعي السّروج وصانعي العجلات والعربات والصّاغة وصانعي السّكاكين والنسّاجين والدبّاغين والعاملين في مجال الطّباعة وبائعي الكتب والعاهرات (المومسات) واللصوص. وكان هؤلاء العمّال يلبسون سراويل طويلة تصل إلى كفوف أقدامهم أكثر مما يرتدون السراويل القصيرة التي تصل إلى الرّكبة والمعروفة باسم "الكلتان" "Culottes " والجوارب على غرار أفراد الطبقات العليا، لذا فقد أطلِق على هؤلاء العمّال اسم "الفئة التي لاترتدي كلوتات" "Sans Culottes " صاحبة الدّور الحاسم في الثورة الفرنسية.

(17) Jules Michelet, Mémoires de Luther, écrits par lui-même, Bruxelles, éditions, Wouters frères, 1845, Introduction, p. 8.

(١٨) سر الأفخارستيا أو سر التّناول أو القربان المقدس: هو أحد الأسرار السّبعة المقدّسة في الكنيستين الكاثوليكية والأرثودوكسية أو أحد السرّين المقدّسين في الكنيسة البروتستانية. وهو تذكير بالعشاء الذي تناوله يسوع بصحبة تلاميذه عشية آلامه. يتم تخليد هذه الذكرى عبر تناول قطعة صغيرة ورقيقة من الخبز (تعرف بالبرشان) التي تمثّلُ جسد يسوع، وأحيانا تَذَوّقُ أو غمس قطعة من الخبز في القليل من الخمر الذي يمثل دم يسوع.

(19) Jules Michelet, Histoire de France, t. V, Paris, Hachette, 1841, pp. 145-146.

(٢٠) بكوليج دوفرانس دخل ميشليه ابتداء من ١٨٤٠ في مواجهة مفتوحة مع القوى المناصرة للنظام القديم، للمزيد حول هذا الموضوع راجع: - يـ زينون، **منطق الكتابة التاريخية...**، م. س، ص- ص: ١١٠- ١٢٦.

(21) Paul Viallaneix, Michelet, les travaux et les jours: 1798-1874, Paris, Gallimard, 1998, p. 561.

(22) Jules Michelet, Journal, t.I, (1828-1848), texte intégral, établi sur les manuscrits autographes et publié pour la première fois, avec une introduction des notes et de nombreux documents inédits par Paul Viallaneix, Paris, Gallimard, 1959, journal du 5 aout 1843, p. 517.

(23) Paul Viallaneix, Michelet et la Révélation de 1789, Romantisme, 1985, n° 50, Religions et religions, p. 62.

(24) J. Michelet, Journal, t .I, (1828-1848), op.cit., p. 39.

(٢٥) ساند ميشليه كفاح الشعب البولوني ضد الاحتلال البروسي والنمساوي والرّوسي، وفي هذا الإطار يندرج كتابه: "بولونيا الشهيدة" "La Pologne Martyr" الذي أصدره سنة ١٨٦٣، للمزيد حول هذا الموضوع، راجع:- يـ زينون، **منطق** ...، م س، ص ص: ٢١٥-٢١٧.

(26) P. Viallaneix, Michelet et la Révélation de 1789, op.cit., p. 62.

(27) Jules Michelet, Histoire de la Révolution française, Paris, Robert Laffont, 1979, quatrième réimpression, 1998, t. I, Introduction, « De l'ancienne monarchie », p. 80.

(28) Ibid., t. II, p.198.

(29) Ibid., t.I , Introduction, « De la religion du Moyen – Age », p.51.

(30) Ibid., p.95.

(31) Ibid., p.102.

(32) J . Michelet, Histoire de la Révolution française, op.cit., tome. I, pp. 144-145, 153-154

(33) Ibid., tome. II, p. 245.

(34) Ibid., p.244.

(٣٥) **مذابح شتنبر**: كانت موجة من عنف العِصابات الذي استولى على باريس في الفترة ما بين ٢ إلى ٦ أو ٧ شتنبر ١٧٩٢، ما أسفر عن إعدام ما يقارب ١٢٠٠ سجين شنقا، وقد استمر العنف المفاجئ في أرجاء فرنسا ضد الكنيسة الكاثوليكية طوال العقد التّالي.

(36) P. Viallaneix, Michelet et la Révélation de 1789, op.cit., p. 63.

(٣٧) استمرت محاضرات هذا الدرس خلال الفترة الممتدة بين ١٦ يناير و٢٩ ماي ١٨٤٥، وكانت محاضرات الفصل الأول موسومة بـ: "ليس الثورة، بل المؤسسة"، واستمرت ما بين ١٦ يناير و٢٧ فبراير١٨٤٥ . أمّا دروس الفصل الثاني فانقسمت إلى فصلين: كان عنوان الفصل الأول "عن أنسنة الهمج" " homification des Barbares" "De l'" وقد استمرت مابين ١٠ و٢٤ أبريل ١٨٤٥، أما دروس الفصل الثاني من هذا الفصل فكانت موسومة بـ "التّاريخ السّلبي للقرون الثلاثة الأخيرة" " Histoire négative des trois derniers siècles" وقد استمرت في الفترة ما بين ٨ و٢٩ ماي ١٨٤٥.

(٣٨) ينعَتُ ميشليه الثورة الفرنسية "بالمؤسّسة" لأنها مَثَّلَتْ بمبادئها وتوصياتها قطيعة مع النّظام القديم، للمزيد حول هذا الموضوع، راجع:

- P. Viallaneix, Cours au Collège de France..., op.cit., tome. II, (1845-1851), cours de 1845, L'esprit et la portée de la Révolution, premier semestre :Non pas la Révolution mais la Fondation, pp. 17-47.

(39) Jules Michelet, Cours au Collège de France par Jules Michelet, tome. II, 1845-1851, publiés par Paul Viallaneix avec la collaboration d'oscar A Haac et d'Irène Tieder, Paris, Gallimard, 1995, cours de 1847, De la révolution, premier semestre : méthode et esprit de l'histoire, quatrième leçon, (jeudi 4 mars 1847), Etudier l'histoire, mépriser l'histoire, p . 208.

(٤٠) للمزيد حول موقف ميشليه من ثورة فبراير ١٨٤٨، راجع، يـ. زينون: **منطق**...، م. س، ص ص: ١٨٧- ٢٠٩.

(41) Jules Michelet, Cours professé au Collège de France par Jules Michelet 1847-1848, Paris, Chamerot 1848, septième leçon, 27 janvier 1848, (leçon non professée), p. 193

(42) J. Michelet, Journal, tome. I, (1828-1848), op.cit., p. 666.

(43) P. Viallaneix, Michelet et la Révélation de 1789, op.cit., p. 64.

(٤٤) لَقَّبَ ميشليه بهذا الاسم صديقه الشّاب أوجين نوويل Eugène Noël (١٨١٦- ١٨٩٩).

(45) François Auguste Mignet, Histoire de la Révolution française depuis 1789 jusqu'en 1814, tome. I, Paris, Didier et Cie et Firmin Didot Frères, 1869, Introduction, p. 38.

(46) Œuvres complètes d'Alexis de Tocqueville, publiés par Madame de Tocqueville, VIII, Mélanges : fragments historiques et notes sur l'Ancien Régime, La Révolution et l'Empire ; Voyages, Pensées : entièrement inédits par Alexis de Tocqueville, État social et politique de la France avant et depuis 1789, Paris, Michel Lévy Frères, 1865, p .52.

(٤٧) **التقويم الثوري** أو التقويم الجمهوري أو التقويم الجمهوري الفرنسي: أحدِثَ هذا التقويم في ١٥ ڤينديميير vendémiaire السنة الثانية الموافق لـ ٦ أكتوبر ١٧٩٣، واعتبرَ يوم إعلان الجمهورية بداية للتأريخ: ١ ڤنديميير السنة الأولى الموافق ٢٢ شتنبر ١٧٩٢. وقد تم اعتماده خلال الثورة الفرنسية وبين عامي ١٧٩٢ و١٨٠٦ ولفترة وجيزة من قبل كومونة باريس Commune de Paris (١٨ مارس ١٨٧١- ٢٨ ماي١٨٧١).

(48) P. Viallaneix, Michelet et la Révélation de 1789, op.cit., p. 64.

(49) Roland Barthes, Michelet, Paris, Seuil, 1995, p . 12.

(٥٠) **الخبر السعيد**: كلمة إنجيل من أصل يوناني وتعني البشارة المفرحة أو الخبر السّار، لذا وردت بصيغة المفرد. والخبر المفرح والسّار هو خبر واحد حمله السّيد المسيح، وهو خبر الخلاص الذي تمَّمَهُ بفدائه على خشبة الصّليب، فهذا هو الخبر السعيد الذي عمّ البشرية ابتداء من الرّب يسوع المسيح خلال وجوده على الأرض وإنجاز رسالته التي جاء من أجلها، ثم حَمَّلَ تلاميذه وَرُسُلَهُ مسؤولية حمل هذا الخبر إلى العالم. انظر: هل يوجد إنجيل واحد أم عدة أناجيل؟ ما معنى كلمة إنجيل معرفة: www.maarifa.org - شوهد بتاريخ : ٨ ماي ٢٠٢١.

(51) Alphonse de Lamartine, Histoire des Girondins, t. I, Paris, Furne et Cie W.Coquebert, troisième édition, 1847, p.47.

(52) Edgar Quinet, Le Christianisme et la Révolution française , Paris, édition, Au comptoir des imprimeurs-unis , deuxième édition, 1846, cinquième leçon, de la cité de dieu et de la cité de l'homme, p. 119.

(53) Ibid., treizième leçon, l'assemblée constituante et la convention, p. 334.

(٥٤) للمزيد حول مفهوم المِنّة عند ميشليه، راجع:

- J. Michelet, Histoire de la Révolution française, op.cit., tome. I, pp. 54-58.

(55) J. Michelet, Histoire de la Révolution française, op.cit, Introduction, « De la religion du Moyen-âge », p. 54.

(٥٦) **فيري الأكبر** (١٣٣٠ - ١٣٥٩): أحد الأبطال الفرنسيين خلال حرب المائة سنة والمنحدرين من منطقة بيكاردي.

- Cf.1- Colette Beaume, Le Grand Ferré ; Premier héros paysan. -Et, Jean Froissant, Chroniques de Jean Froissart, Société de l'histoire de France, H. Champion, 1874, 428 p. (livre en ligne), p .38.

(57) P. Viallaneix, Michelet et la Révélation de 1789, op.cit., p.65.

(٥٨) **الحسُّ السّليم**: باعتبارها ترجمة لكلمة "Le sens commun" فهي حسن التقدير والحكمة التي تقوم على المفهوم البسيط للحالة أو الوقائع. من هذا المنظور تُعَادِلُ "الفطرة السّليمة" المعرفة والخبرة التي يمتلكها معظم الأفراد بالفطرة أو التي يستخدمها الشّخص، وهو المصطلح الذي يفترض وجوب فعلهم لذلك من عدمه. ويُعَرِّفُهَا قاموس كامبريدج (Cambridge Dictionary) بأنها المستوى الأساس للمعرفة العملية والحكم العملي الذي نَكُونُ جميعا في حاجة إليه لمساعدتنا على المعيشة بطريقة معقولة وآمنة.

(59) P. Viallaneix, Michelet et la Révélation de 1789, op.cit.p. 65.

(60) J. Michelet, Histoire de la Révolution française, op.cit, t.III, pp. 324-325.

(٦١) في فرنسا تولّى المؤتمر الوطني (١٧٩٢-١٧٩٥) السّلطة التنفيذية خلال السّنوات الأولى من عهد الجمهورية الأولى (١٧٩٢-١٨٠٤)، وقام بتشكيل الجمعية الدّستورية والتشريعية الفرنسية التي استمرت ما بين ٢٠ شتنبر ١٧٩٢ و٢٦ أكتوبر ١٧٩٥.

(٦٢) لجنة السّلامة العامة: أنشئت في ٦ أبريل ١٧٩٣ من طرف المؤتمر الوطني الفرنسي لمواجهة الأخطار التي تتهدّد الجمهورية (الاحتجاج والحرب الأهلية)، وتمت إعادة هيكلتها في يوليو من نفس العام وشكلت حكومة الأمر الواقع التنفيذية في فرنسا خلال عهد الإرهاب (٥ شتنبر ١٧٩٣- ٢٨ يوليوز ١٧٩٤).

(63) J. Michelet, Histoire de la Révolution française, op.cit., t. V, Paris, éditions. A. Le Vasseur, successions, 1800, p. 298.

(64) Jules Michelet, Histoire de la Révolution française, tome. V, Paris, A. Le Vasseur , 1800, pp. 297-298.

(٦٥) **اليعقوبية**: اتجاه سياسي يدافع عن السّيادة الشعبية وعدم تجزئة الجمهورية الفرنسية، وقد تأسس نادي اليعاقبة سنة ١٧٨٩ وتم حَلُّهُ في ١١ نونبر ١٧٩٤.

(66) Claude Blanckaert, "Les animaux « utiles » chez Isidore Geoffroy Saint - Hilaire : La mission sociale de la Zootechnie", Revue de Synthèse : IXe S.N os 3-4- Juillet - décembre 1992, p . 361.

(67) J. Michelet, Histoire de la Révolution française, op.cit., t. V, p. 180.

(68) Ibid., t. IV, p. 345.

(69) P. Viallaneix, Michelet et la Révélation de 1789, op.cit.p. 66.

(70) J.Michelet, Histoire de la Révolution française, op.cit., tome. I, p. 146.

(٧١) الماين ولابروتان منطقتان واقعتان في الشمال الغربي لفرنسا.

(72) J.Michelet, Histoire de la Révolution française, op.cit.,tome .IV p. 344.

(73) P. Viallaneix, Michelet et la Révélation de 1789, op.cit., p. 67.

(74) J.Michelet, Histoire de la Révolution française, op.cit.,, t. III, p. 325.

(75) Ibid., t. IV, p. 344.

(٧٦) **ديانة الكائن الأسمى**: كانت صيغة من الرّبوبية أسّسها ماكسيمليان روبيسبيير أثناء الثورة الفرنسية حتّى تكون الدين الرسمي للجمهورية الفرنسية الجديدة.

(77) P. Viallaneix, Michelet et la Révélation de 1789, op.cit., p. 68.

(78) Ibid.

(79) Ibid.

(٨٠) **أسينيا**: عملة ائتمان تَمَّ سكُّها إبّان الثورة الفرنسية، فَبَعْدَ "نظام لاو" "Système de Law" (١٧١٦ -١٧٢٠) كانت "الأسينيا" ثاني تجربة لعملة الائتمان تعرفتها فرنسا خلال القرن ١٨، لكن التجربتين فشلتا معا فشلا مُدَوِّيًا. في الأصل، كان يتعلق الأمر بسندات مديونية أصدرتها الخزينة سنة ١٧٨٩، تَمَّ ضمان قيمتها عبر رهن الأملاك الوطنية. وبعد أن أصبحت الأسنييات عملة التداول والتبادل سنة ١٧٩١، ضاعفت الجمعيات الوطنية إصدار هذه العملة ما أدّى إلى تضخمها، فتم إلغاء قانونيتها بموجب قانون ٢١ ماي ١٧٩٧.

- Cf. Albert Mathiez et Georges Le Febvre, Annales historiques de la révolution française, Firmin – Didot et Cie, 1988, p. 256.

(81) J. Michelet, Histoire de la Révolution française, op.cit.,tome.I, «Préface de 1847», p. 38.

(82) Ibid.

(83) J. Michlet, Cours professée..., op. cit., deuxième leçon (23 décembre 1847), pp. 59-60.

(84) J. Michelet, Histoire de la Révolution française, op.cit., tome.I, Préface de 1868, p. 45.

(85) P. Viallaneix, Michelet et la Révélation de 1789, op.cit., p. 69.

(86) Ibid.

(87) J.Michelet, Cours professé ..., op. cit., dixième leçon, (17février 1848), (leçon non professée), pp. 290-291

(٨٨) **الجيروندِيين**: هم أعضاء حزب سياسي نشأ أثناء الثورة الفرنسية، وسمي بهذا الاسم لانتماء معظم قادته لمقاطعة جيروند.

(89) Jules Michelet, Histoire de la Révolution française, t. VII, Paris. Editions. A. Le Vasseur, 1800, p. 169

(٩٠) **الدستور المدني لرجال الدين**: هو ظهير أعاد تنظيم الكهنوت العلماني وأسّس الكنيسة الدستورية بفرنسا تبنّته الجمعية الوطنية الدستورية في ١٢ يوليوز ١٧٩٠ ووافق عليه لويس ١٦ Louis XVI (١٧٥٤-١٧٩٣) مكرها في ٢٤ غشت ١٧٩٠. بعد أن أدان البابا بي السّادس Pie VI (1717-1799) هذا التنظيم الجديد في ١٠ مارس ١٧٩١ انقسم الكهنوت الفرنسي إلى دستوري ومنشق. وقد أُلغِيَ هذا الظهير بموجب اتفاقية الكونكوردات الموقعة بباريس في ١٥ يوليوز ١٨٠١ بين نابليون بونابرت Napoléon Bonaparte (١٧٦٩-١٨٢١) والبابا بيـوس السـابع Pie VII (١٧٤٢-1823).

(91) Jules Michelet, Histoire de la Révolution française, t. II, Paris, éditions, J.Hetzel et Cie, « de la méthode et de l'esprit de ce livre », p. 124.

(92) Ibid., tome. II, p. 189.

(٩٣) بناء على مبادرة من نادي بريتون Club breton الذي سَيُعْرَفُ لاحقا باسم نادي اليعاقبة عقدت الجمعية التأسيسية الوطنية الفرنسية (١٧٨٩-١٧٩١) ليلة ٤ غشت ١٧٨٩ اجتماعا تم التصويت خلاله على الاعتراف الأول أو قانون إلغاء الامتيازات الإقطاعية.

(94) Jules Michelet, Histoire de la Révolution française, op.cit.,t. VII , Paris, 1800, A. Le Vasseur, pp. 168-169.

(95) J. Michelet, Histoire de la Révolution française,op.cit., tome. VII, p. 204.

(96) Jules Michelet, Histoire de la Révolution française, tome. VII, Paris, Chamerot,1853, p. 235.

(97) P. Viallaneix, Michelet et la Révélation de 1789, op.cit.,p. 70.

(98) J. Michelet, Histoire de la Révolution française, op.cit.,t. IV , p. 345.

(99) Jules Michelet, Le Banquet papiers intimes, Paris, Calmasin Lévy, Première édition, 1879, p.196.

(١٠٠) انقسم هذا الدّرس إلى فصلين: فمحاضرات الفصل الأول كانت موسومة بـ:" منهجية وفكر التاريخ" "Méthode et esprit de l'histoire" واستمرت ما بين ١١ فبراير و١٨ مارس ١٨٤٧، أمّا دروس الفصل الثاني فكان عنوانها:" حول القرن ١٨ والثورة" "Sur le XVIII siècle et la Révolution" واستمرت مابين ٦ ماي و١٧ يونيو ١٨٤٧.

(١٠١) أصدر ميشليه هذه الدروس العشرة سنة ١٨٤٨ عن دار النشر شامورو Chamerot تحت عنوان: "الدروس المُدَرَّسَة بكوليج دوفرانس " "Cours professé au Collège de France" . بعد

وفاته، نشرت أرملته أثيناييس ميالري Athènais Mialaret (1826-1899)سنة ١٨٧٧ هذا المؤلف موسومًا بـ: "الطّالب" "l'Etudiant" عن دار النشر كالمان ليڤي Calmann Lévy. كان عنوان درس ١٨٤٨: "أن نريد التآخي" " Faire vouloir la fraternité "، وانقسم إلى فصلين: فدروس فصله الأول كانت موسومة بـ " أن يكون المثقفون غير مثقفين" "Que les lettrés se fassent illetrés" واستمرت ما بين ١٦ دجنبر١٨٤٧ و١٧ فبراير ١٨٤٨، أما دروس فصله الثاني فكان عنوانها "الديانة أخيرا ممكنة" La religion enfin possible" " واستمرت خلال الفترة الممتدة بين ٧ ماي و١١ يونيو ١٨٤٨.

(102) P. Viallaneix, Michelet et la Révélation de 1789, op.cit., p. 71.

(103) Lettre citée dans La Voie Royale, IV, I, édition, Flammarion, 1971, p. 373.

(١٠٤) **أيّام يونيو ١٨٤٨:** تمثل هذه الأيّام نهاية لثورة ١٨٤٨؛ ففي ٢١ يونيو ١٨٤٨ وبضغط من الجمعية الوطنية الدّستورية أصدرت اللّجنة التنفيذية مرسوما يُلزم الشباب أقل من ٢٥ سنة بالانخراط في الجيش ويُعلمُ الآخرين بالاستعداد للذّهاب إلى الضّاحية، وإلاّ فسيتم وقف أجورهم. كان هذا في الواقع حَلاً للأوراش الوطنية؛ ما خلّف استياء عارما لدى العمّال الباريسيين عبّروا عنه في ٢٣ من الشهر ذاته بنصبهم المتاريس في العاصمة الفرنسية. في اليوم الموالي عهدت اللّجنة التنفيذية للجنرال كاڤينياك Cavaignac (١٨٠٢ -١٨٥٧) بكامل الصلاحيات لكبح جماح المتمرّدين. وفي مساء اليوم نفسه تمكن كاڤينياك من احتواء التمرّد، و استعادت قواته اليانتيون Le Panthéon في صباح ٢٥ يونيو واقتحمت المتاريس بعد معارك دامية لقي فيها أسقف باريس دينيس آفر Denys Affre (١٧٩٣ -١٨٤٨) حتفه، فيما جرت آخر المعارك يوم ٢٦ يونيو. أسفرت هذه الأحداث عن مقتل ١٦٠٠ جندي نظامي و ٤٠٠٠ من المتمردين، وعن اعتقال ١٥ ألف متمرد وترحيل ٤٣٠٠ آخرين إلى الجزائر.

-Journées de juin 1848, Encyclopédie Larousse en ligne ; https://www.larousse.fr.

- Vu le: 8 mai 2021.

(١٠٥) للمزيد حول هذا الموضوع، راجع: ياسين زينون، "**منطق الكتابة التاريخية...**"، م ، س، ص: ١٤٤، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤.

(١٠٦) P Viallaneix, Michelet et la Révélation de 1789,. op.cit., p. 71.

(١٠٧) Ibid.

(١٠٨) للمزيد حول مفهوم النهضة الأوربية عند ميشليه، راجع: ياسين زينون، "مفهوم النهضة الأوربية عند ميشليه"، **مؤسسة مؤمنون بلاحدود للدراسات والأبحاث**، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية، فئة مقالات، سبتمبر ٢٠١٧.

(١٠٩) **مرسوم نانت**: بعد خمسين عاما قضتها فرنسا في الصّراع الدّيني والانقسام الدّاخلي، وَقّعَ هنري الرّابع Henri IV (١٥٥٣ -١٦١٠) في ١٣ أبريل ١٥٩٨ بمدينة نانت على هذا المرسوم الذي سمح للبروتستانت الفرنسيين أو الهيجونوت Huguenots بحكم حوالي مائة مدينة محصّنة لمدة ثماني سنوات، وضَمِنَ لهم حرية الاعتقاد والمساواة الاجتماعية والسياسية مع الأغلبية الرومانية الكاثوليكية وحرية العبادة. حتى وفاة الملك سنة ١٦١٠ طُبّقَ القرار بجدية، وفي سنة ١٦٨٥ ألغاه لويس ١٤ Louis XIV (١٦٣٨–١٧١٥) ما أرغم نحو ٢٠٠,٠٠٠ هيجونوتي على النزوح من فرنسا.

(١١٠) **الكاميزار**: هم بروتستانت فرنسيون هيجونو من منطقة سيڤين Cévennes جنوب فرنسا، تمرّدوا ضد الاضطهاد الذي تلي إلغاء ميثاق نانت la Révocation de l'Édit de Nantes سنة ١٦٨٥ اختمرت لديهم فكرة التمرد خلال الفترة الممتدة بين عامي ١٦٨٥ و١٧٠٠. بعد أن تمت تصفية معظم رعاتهم وفرار بعضهم، وجد الكاميزار أنفسهم بدون قادة، فَحَلَّ الملهَمون محلَّ الرّعاة؛ والملهمون: هم رسل دون تكوين كانوا يَدْعُونَ أحيانا إلى الثورة العنيفة. في هذا السياق، تأتي حروب سيڤين (١٧٠٢-١٧٠٤) التي خاضها القرويون البروتستانت ضد القوات الفرنسية بسيڤين وبا لونكدوك Bas- Languedoc جنوب فرنسا.

-Cf. Philippe Joutand, Les Camisards, Gallimard, 1976, p.59.

(111) Jules Michelet, Bible de l'humanité, Paris, Chamerot, 1864, « Conclusion ». p. 486.

(112) P. Viallaneix, Michelet et la Révélation de 1789, op.cit pp. 71-72.

(١١٣) **مؤامرة أنصار المساواة**: هي محاولة فاشلة للانقلاب على حكومة الإدارة (١٧٩٥-١٧٩٩) قادها بابوف وزملاءه ضدا على غلاء المعيشة وتردي الوضع الاجتماعي وسيادة المجاعة في الأحياء العمّالية للمدن الكبرى وتنامي الخطر الملكي. ففي ٣٠ مارس ١٧٩٦ تشكّل مجلس ثوري بقيادة بابوف ضم كلا من بيير أنطوان أنطونيل Pierre Antoine Antonelle (١٧٤٧- ١٨١٧)، وفليب بيناروتي Philippe Bunarroti (١٧٦١ -١٨٣٧) وأوغستين دارتي Augustin Darthé (١٧٦٩- ١٧٩٧) وفليكس لوبولتيي Félix Lepeltier (١٧٦٧- ١٨٣٧) وسيلڤان ماريشال Sylvain Maréchal (١٧٥٠- ١٨٠٣). وقد استعان الانقلابيون بعدة عملاء، اثنان منهما بالجيش هما: شارل جرمان Germain Charles(١٧٧٠- ١٨٣٥) وجورج ڤريزل Georges Grisel (١٧٦٥ - ١٨١٢) إضافة إلى بعض رؤساء الأقسام الباريسية إبّان الثورة الفرنسية أمثال: تيريون ديديي Thirion Didier (١٧٦٣- ١٨١٥)، وكانوا يُعَوّلُون على دعم ديموقراطيي العام الثاني وعلى منخرطي جريدة: "خطيب الشّعب" "Le Tribun du peuple" الذين لم يَدْخُلُوا السرية لجلب الفئات الشعبية في أفق أخذ السّلطة وإقامة دكتاتورية ثورية مؤقتة لتصريف الأعمال. لكن بعد إبلاغها من طرف العميل المزدوج ڤريزل أوقفت الشرطة الفرنسية المتآمرين في ١٠ ماي ١٧٩٦؛ أربعة أشهر بعد ذلك، وفي علاقة بالمؤامرة، أُحبطت ليلة ٩- ١٠ شتنبر ١٧٩٦ محاولة تمرد في معسكر ڤرونيل Grenelle، و تم اعتقال ١٣١ شخصا وإعدام ٣٠ آخرين، فيما حُكم بالإعدام على كل من بابوف ودارتي ونُفذ فيهما الحكم في ٢٧ ماي ١٧٩٧.

-Cf. Conjuration des Égaux (1796 -1797), Encyclopédie Larousse en ligne.

https://www.larousse.fr. - Vu le: 8 mai 2021.

(114) J. Michelet, Le Banquet, papiers intimes, op. cit, pp. 151-152.

(١١٥) **العشاء الأخير**: طبقًا للعهد الجديد هو عشاء عيد الفصح اليهودي التّقليدي، كان آخر ما احتفل به يسوع مع تلاميذه قبل أن يتم اعتقاله ومحاكمته وصلبه. يعتبر الحدث شديد الأهمية؛ فمن خلاله تأسّس سرّ القربان المقدّس وقدّم يسوع خلاصة تعاليمه ويمثل المقابل الإنجيلي لمناسبة خميس الأسرار. (يعرَفُ خميسُ الأسرار أيضًا بالخميس المقدّس وهو عيد مسيحي أو يوم مقدّسٌ يسبق عيد الفصح، يتم فيه إحياء ذكرى العشاء الأخير ليسوع المسيح مع تلاميذه وفق الإنجيل المسيحي).

(116) J. Michelet, Le Banquet, papiers intimes, op. cit., p.234.

(117) Ibid.,

(118) Ibid, pp. 284-285 .

(١١٩) **العهد القديم**: هو الجزء الأكبر من الكتاب المقدّس ويحتوي على جميع كتب اليهود بما فيها التوراة (الكتب الخمسة الأولى)، ويعرف بالتناخ وهي كلمة مركّبة من الحرف الأول لكل قسم من أقسامه: توراه (التوراة) نبييم (الأنبياء) وكتوبيم (الكتب). تبقى مواضيع هذه الأسفار مختلفة، فإذا كان سفر التّكوين قصصيًا بالأولى، فإن سفر اللاّويين تشريعيّ بالأخرى، أمّا سفرا المزامير ودنيال فهما على التّوالي تسبيحي ورؤيوي. أما العهد الجديد، فهو الجزء الثاني من الكتاب المقدّس لدى المسيحيين. يحتوي العهد الجديد على ٢٧ سِفْرًا وهي الأناجيل الأربعة: إنجيل مَتّى، وإنجيل مُرقس، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنّا، إضافة إلى أعمال الرّسل، وأربعة عشر رسالة لبولس الطرسوسي Paul de Tarse (حوالي القرن ٥ الميلادي- بين ٦٤ و٦٧ ميلادي.) وسبع رسائل لرسل وتلاميذ آخرين وسفر الرؤيا.

(١٢٠) **طائفة القديسين**: هي جماعة كل أولئك الذين تلقّوا من الرّوح القدس نعمة الاستصلاح الذي من خلاله هم أبناء الله المتعطون بالمسيح ويسمون القِدّيسين.

(121) J. Michelet, Histoire de la Révolution française, op.cit, tome . VII, A. Le Vasseur, 1800, pp. ٢٠٣ ٢٠٢.

(122) P. Viallaneix, Michelet et la Révélation de 1789, op.cit pp. 72-73.

(123) R. Treffel, La Révolution française selon Michelet, op.cit., La Révolution francaise est un événement de dimension religieuse, 1000- idées- de- culture-generale.fr

(124) Paule Petitier, Histoire de la Révolution Française de Jules Michelet (Tome.2), dialogues, Librairie, https://www.librairiedialogues.fr/livre/14795668-histoire-de-la-révolution-française-2-Jules-michelet-galliamard,
- Vu le: 8 mai 2021.